فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

الأنصاري، خالد بن عبد الله باحميد

شرح العقيدة الواسطية.- الرياض.

١٤٤ ص؛ ١٧×٢٤ سم.- (مكتبة المبتدئ في طلب العلم؛٢)

ردمك:٥-١٨٢-٣٩-٩٩٦٠

١-العقيدة الإسلامية ٢-التوحيد أ-العنوان ب-السلسلة

ديوي ٢٤٠ ٢٢/١٢٥٩

رقم الإيداع: ٢٢/١٢٥٩

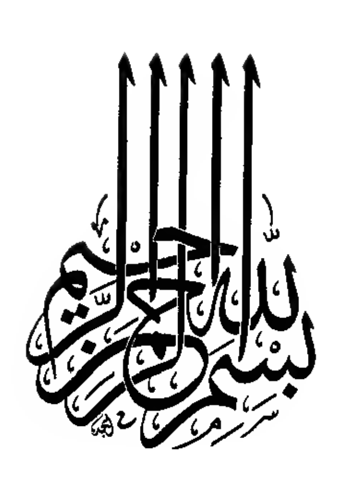
ردمك: ٥-١٨٢-٣٩-٩٩٦٠

الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ

دار الاعتصام للنشر

خصم خاص للتوزيع الخيري

جوال ٠٥٤١٣٤٩٧٣



مُقَدِّمَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **أما بعد:**

فكتابي الموسوم بـــ "**المدخل إلى دراسة المختصرات**" مختصر يتعلق بالمنهج للمبتدئ في طلب العلم الشرعي، يتضمن عشرة أمور، وهي:

* **فضل العلم.**
* **تعريف العلم.**
* **الغاية من العلم.**
* **حكم طلب العلم.**
* **أقسام العلم.**
* **المرحلة التمهيدية لطلب العلم.**
* **التعريف بالعلوم التي تدرس في الفصل الأول من المرحلة التمهيدية.**
* **التعريف بمختصر في كل علم من هذه العلوم.**
* **التعريف بكيفية ضبط المختصر.**
* **التعريف بالشرح المناسب للمختصر.**

ثم أختم ذلك بذكر أسباب التوفيق في طلب العلم.

ومما ذكرته في المرحلة التمهيدية لطلب العلم أن هذه المرحلة تتم بفصلين وأن الفصل الأول هو ضبط مختصر في التوحيد، والاعتقاد، والفقه، والنحو، وأصول الفقه، ومصطلح الحديث.

ومما ذكرته في التعريف بالعلوم التي تدرس في الفصل الأول من المرحلة التمهيدية عن علم الاعتقاد أن **الاعتقاد**: الجزم، فقولك: "اعتقد بأن الله حق" معناه: أجزم بأنه حق، **وعلم الاعتقاد** إجمالاً: هو معرفة قول علماء السلف في المسائل التي حدث فيها أقوال ضالة من قبل المنتسبين للإسلام.

وأغلب هذه المسائل تتعلق بالأخبار؛ مثل مسائل الأسْمَاء والصفات، وقليل منها يتعلق بالأحكام؛ مثل مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولعل هذا العلم سُمِّيَ بالاعتقاد لأن قول علماء السلف مجزوم به لكونه لَمْ يخالف قولهم إلا المبتدعة.

ومما ذكرته في التعريف بمختصر في كل علم أن من أشهر المختصرات المؤلفة في **علم الاعتقاد** كتاب "**العقيدة الواسطية**" تأليف شيخ الإسلام أبي العباس أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، المولود بحران من أرض الشام سنة (٦٦١هـ)، المتوفى سنة (٧٢٨هـ).

ومما ذكرته في التعريف بالشرح المناسب للمختصر أن الشرح المناسب – في الجملة – هو أن يتضمن شيئين:

الأول: تسهيل فهم كلام المؤلف بحيث يفهمه المبتدئ.

الثاني: عدم التعرض لِما فيه تشويش لذهن المبتدئ.

وقد استعنت بالله تعالى في إعداد شرح لهذه المختصرات مراعياً فيه هذين الشيئين.

وطريقتي في الشرح تتلخص في الأمور التالية:

الأول: قبل الشروع في شرح الكتاب أتكلم كلاماً مجملاً عن عنوان الكتاب ومحتوياته.

الثاني: أقسم محتويات الكتاب تقسيماً مناسباً بحسب ما أراه بعد تأملي في جميع الكتاب.

الثالث: أحرص على ذكر المناسبات بين كلام المؤلف إن استطعت إلى ذلك سبيلاً.

الرابع: أهتم بتوضيح عبارات المؤلف، ولا أزيد على كلامه إلا نادراً، وذلك إن رأيت في الزيادة تسهيلاً لفهم كلامه.

الخامس: أحرص على ذكر الأمثلة في المواضع التي تقتضي ذلك.

السادس: أتجنب نقد شيء من كلام المؤلف أو التفصيل الكثير، أو ذكر الخلاف سواء خلاف المبتدعة في الاعتقاد أو خلاف الفقهاء في الفقه أو الخلاف في العلوم الأخرى، لأني أرى أن التعرض لذلك لا يناسب المبتدئ.

وقد يسر الله عز وجل بِمنه وكرمه إتمام شرح "**العقيدة الواسطية**" فأسأله سبحانه أن ينفع به كما نفع بأصله.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قبل الشروع في شرح الكتاب

قبل الشروع في شرح الكتاب سيكون الكلام عن أمرين:

الأول: عنوان الكتاب.

الثاني: محتويات الكتاب.

أما **عنوان الكتاب**، فهو "**العقيدة الواسطية**".

وكلمة "**العقيدة**" سبق الكلام عنها في المقدمة.

وكلمة "**الواسطية**" وصف للعقيدة، وُصِفت بذلك نسبة إلى بلد واسط، حيث كتب المؤلف هذه العقيدة إجابة لطلب أحد قضاتها.

وأما **محتويات الكتاب**، فهو **يحتوي على قسمين:**

القسم الأول: اعتقاد أهل السنة والجماعة في المسائل التي تتعلق بالأخبار.

القسم الثاني: اعتقاد أهل السنة والجماعة في المسائل التي تتعلق بالأحكام.

[مُقدّمة المؤلّف]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمدُ لله الَّذِي أَرْسَلَ رسُولَه بالهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَه لاَ شَرِيكَ لَهُ إقْرارًا بِهِ وتَوْحِيدًا، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه ورَسُولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا[١].

أَمَّا بَعْدُ:[٢]

---

(١) افتتح المؤلف كتابه هذا بمقدمةٍ تضمنت ثلاثة أمور:

وهي: البسملة والحمدلة والشهادتين.

(٢) هذه كلمة يُؤتَى بها للدلالة على أمرين:

الأول: الانتهاء من المقدمة.

الثاني: الابتداء في المقصود.

[اعتقاد أهل السنة والجماعة في المسائل التي تتعلق بالأخبار]

فَهَذَا اعْتِقَادُ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ المَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَهُوَ: الإِيمَانُ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ[١].

---

[١] هذا القسم الأول من الكتاب الذي هو اعتقاد أهل السنة والجماعة في المسائل التي تتعلق بالأخبار.

(**فهذا**) هذا اسم إشارة.

والمشار إليه نفس هذا الكتاب.

(**اعتقاد الفرقة**) أي ما تعتقده.

ومعنى تعتقده: تجزم به، والفرقة: بكسر الفاء الطائفة من الناس.

وإنما ذكر المؤلف ذلك لأن مسائل الاعتقاد مُخْتَلَفٌ فيها بين الناس؛ اختلافا نتج عنه وجود فِرَقٍ، وكل فرقة تجزم بأن قولها في هذه المسائل هو الحق.

ولهذا سيقتصر على ذكر اعتقاد الفرقة التي على الحق واقعا لا ادعاء.

وقوله: (**النَّاجِيَةِ المَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ**)

أي الفرقة التي سيذكر اعتقادها متصفة بهذه الصفات.

(**الناجية**) أي السالمة من النار في الآخرة.

(**المنصورة**) أي المنتصرة على من خالفها في الدنيا.

(**إلى قيام الساعة**) أي بقاؤها مستمر إلى أن تقوم الساعة، فلن يخلوَ وقت من وجودها.

وإنما ذكر المؤلف ذلك إشارة إلى أن اتصاف هذه الفرقة بهذه الصفات يدل على أنها على الحق دون غيرها من الفرق.

فالفرقة المعرضة للدخول في النار بسبب اعتقادها لا تكون على الحق.

والفرقة التي تنهزم أمام الحجج الواضحة من الكتاب والسنة ليست على الحق.

والفرقة التي لا يستمر بقاؤها؛ لا تكون على الحق، إذ الحق باق إلى قيام الساعة.

وفي ذكر المؤلف لصفات هذه الفرقة ترغيب للانضمام إليها.

وقوله: **(أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ)**

أي الفرقة التي سيذكر اعتقادها تُسمى بهذا الاسم.

(أهل السنة) أي أصحاب الطريقة التي كان عليها النبي ﷺ.

(والجماعة) أي وأصحاب الاجتماع على هذه الطريقة.

وفي ذكر المؤلف لاسم هذه الفرقة ترغيب للانتساب إليها.

وسيذكر في آخر الكتاب سبب تسميتها بهذا الاسم.

(وهو) أي اعتقاد هذه الفرقة.

(الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره) أي اعتقادها إجمالاً في المسائل التي تتعلق بالأخبار هو الإيمان بهذه الأصول الستة.

وفي ذكر المؤلف لاعتقاد هذه الفرقة دعوة لتحقيق الانضمام والانتساب إليها وذلك يكون بموافقتها في اعتقادها.

[الإيمَانُ باللهِ]

وَمِن الإِيمَان بالله:[١]

الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ[٢].

---

[١] لَمَّا ذكر اعتقاد الفرقة إجمالاً شرع في ذكر اعتقادها تفصيلاً.

فبدأ بالأصل الأول الذي هو الإيمان بالله.

(ومن الإيمان بالله) **(من)** بمعنى بعض، أي بعض ما يدخل في الإيمان بالله.

مراده: أن الإيمان بالله يتضمن أموراً، وأنه إنَّما سيتكلم عن بعض هذه الأمور لا كلها.

مسألة: ما هي الأمور التي يتضمنها الإيمان بالله؟

الجواب: الإيمان بالله يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بربوبيته.

الثاني: الإيمان بإلهيته.

الثالث: الإيمان بأسمائه وصفاته.

فإذا قيل: ما هو الذي سيتكلم عنه المؤلف من هذه الأمور؟

فالجواب: سيتكلم عن الإيمان بالصفات فقط.

وسيذكر فيما يتعلق بباب الصفات مبحثين:

المبحث الأول: بيان مصادر الصفات التي يؤمن بها أهل السنة والجماعة.

المبحث الثاني: بيان كيفية وصف الله لنفسه.

[٢] هذا المبحث الأول وهو بيان مصادر الصفات التي يؤمن بها أهل السنة والجماعة.

مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ[١].

(**الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه**) أي في القرآن.

(**وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ**) أي في السنة.

والخلاصة: أهم يؤمنون بالصفات التي مصدرها القرآن والسنة.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن من صفاته تعالى أنه استوى على العرش بدلالة هذه الآية، ومعنى استوى: علا وارتفع.

[١] لَمَّا ذكر أن مصادر الصفات التي يؤمن بها أهل السنة والجماعة هما القرآن والسنة ناسب أن يذكر أن إيمانهم بالصفات خال من التعامل معها بهذه الطرق الأربعة، وإنما ناسب أن يذكر ذلك لأن الفِرَق الأخرى تتعامل مع الصفات بهذه الطرق.

فأما الطريقة الأولى، فهي التحريف.

وهو: نفي المعنى المراد مع إبداله بمعنى آخر.

مثاله: في قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ قال بعضهم: استوى بمعنى استولى، فنفى المعنى المراد الذي هو علا وارتفع وأبدله بمعنى آخر الذي هو استولى.

وأما الطريقة الثانية، فهي التعطيل.

وهو: نفي المعنى المراد مع عدم إبداله بمعنى آخر.

مثاله: في الآية السابقة: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ قال بعضهم: الله لم يستو على العرش، فنفى المعنى المراد و لم يبدله بمعنى آخر.

بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[١].

وأما الطريقة الثالثة، فهي التكييف.

وهو: تعيين كيفية الصفة مع عدم ذكر مماثل لها.

مثاله: في الآية السابقة: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ إذا قال قائل: كيفية استواء الله على عرشه كذا وكذا، فعيَّن كيفية الصفة من تلقاء نفسه و لم يُمثلها بصفة المخلوقين.

تنبيه: لم يُنقل – فيما أحسب – أن أحداً ادعى معرفة الكيفية، لكن الذي نُقل أن بعضهم كان يسأل عن الكيفية، ففي نفي معرفة الكيفية إغلاق لباب السؤال عنها.

وأما الطريقة الرابعة فهي التمثيل.

وهو: تعيين كيفية الصفة مع ذكر مماثل لها.

مثاله: في الآية السابقة: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ قال بعضهم: الله استوى على العرش كما يستوي أحدنا على الكرسي، فعيَّن كيفية الصفة ومثلها بصفة المخلوقين.

[١] لَمَّا ذكر المؤلف أن إيمان أهل السنة والجماعة بالصفات خال من التعامل معها بتلك الطرق ناسب أن يذكر طريقتهم في التعامل مع الصفات.

كلمة (**بل**) تدل على الانتقال.

فأولاً نفى تعاملهم بتلك الطرق، ثم انتقل إلى إثبات الطريقة التي يتعاملون بها.

(**يؤمنون بأن الله** ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ ﴾) فيه نفي المماثلة.

(﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾) فيه إثبات صفتين من الصفات.

فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَآيَاتِهِ، وَلاَ يُكَيِّفُونَ، وَلا يُمَثِّلونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ[١].

مراده: أن طريقتهم في التعامل مع الصفات التي يؤمنون بها هي نفي المماثلة عنها.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن من صفاته تعالى أنه استوى على العرش بدلالة هذه الآية، ويؤمنون بأن استواءه على العرش استواء يليق بجلاله ليس مثل استواء المخلوقين لأنه ليس كمثله شيء.

[١] لَمَّا ذكر طريقة أهل السنة والجماعة في التعامل مع الصفات ناسب أن يذكر ما يتفرع عن هذه الطريقة أي ينتج عنها.

(فـــ) الفاء تدل على التفريع.

يعني كون طريقتهم في التعامل مع الصفات هي نفي المماثلة عنها، يتفرع عن ذلك أهم لا يتعاملون مع الصفات بالطرق الأخرى.

فأولاً: (**لا ينفون عنه ما وصف به نفسه**) أي لا يعطلون.

ثانياً: (**لا يحرفون الكلم عن مواضعه**) أي لا يصرفون اللفظ عن المعنى الذي وُضع له.

وقوله: (**لا يلحدون في أسماء الله و آياته**) الإلحاد في الأسماء والآيات هو الميل عما يجب فيها، ومن الميل عدم إثبات ما دلت عليه من الصفات، وكيفية عدم الإثبات تكون بأحد أمرين إما بالتعطيل وإما بالتحريف، وعلى هذا فالإلحاد ليس هو طريقة مستقلة بل هو يتضمن هاتين الطريقتين، ولهذا ذكره المؤلف بعدهما.

ثالثاً: (**لا يكيفون**) أي لا يُعَيِّنون كيفية ما وصف الله به نفسه.

لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لاَ سَمِيَّ لَهُ وَلاَ كُفْءَ لَهُ وَلاَ نِدَّ لَهُ وَلاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[1].

رابعاً: (**لا يُمثلون صفاته بصفات خلقه**) أي لا يقولون: إن صفات الله مثل صفات المخلوقين.

فائدة: يشير المؤلف بهذا التفريع إلى أن الفرق الأخرى اعتقدوا ابتداءً في الصفات التي مصدرها القرآن والسنة أنَّها تُماثل صفات المخلوقين؛ فنتج عن هذا الاعتقاد التعامل مع الصفات بطريقة من هذه الطرق، فمنهم من عطَّل ومنهم من حرَّف ومنهم من كيَّف قصداً للهروب من الوقوع في التمثيل، ومنهم من مثَّل قصداً للتسليم لظاهر القرآن والسنة، وأما أهل السنة والجماعة فلكونهم اعتقدوا ابتداءً أن الصفات في القرآن والسنة لا تماثل صفات المخلوقين نتج عن ذلك عدم التعامل مع الصفات بطريقة من هذه الطرق.

(١) لَمَّا ذكر ما يتفرع عن طريقة أهل السنة والجماعة في التعامل مع الصفات ناسب أن يذكر التعليل أي السبب على صحة هذه الطريقة.

(**لأنه سبحانه**) اللام سببية أي السبب في نفي المماثلة عن صفات الله ما يلي:

(**لا سمي له ولا كفوء له ولا ند له**) هذه الألفاظ معناها متقارب جداً، كلها بمعنى لا مثيل له في ذاته.

(**ولا يقاس بخلقه**) لا يقاس: أي لا يُمَثَّل، بِخلقه: أي في الصفات، يعني لا تُمَثَّل صفاته بصفات خلقه.

مراده: أن أهل السنة والجماعة ينفون المماثلة عن صفات الله تعالى، والسبب في

فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِه، وَأَصْدَقُ قِيلاً وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مَصْدُوقُونَ، بِخِلاَفِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لاَ يَعْلَمونَ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾، فَسَبَّح نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخالِفونَ للرُّسُلِ، وَسَلَّم عَلَى المُرْسَلِينَ؛ لِسَلامةِ مَا قَالُوهُ مِن النَّقصِ وَالعَيْبِ[1].

ذلك أن الله تعالى لا مثيل له في ذاته فيلزم من ذلك أن يكون لا مثيل له في صفاته.

مثال تَقْرِيْبِي: الإنسان ذات له صفات والحيوان ذات له صفات، ولأن ذات الإنسان ليست كذات الحيوان؛ يلزم من ذلك أن تكون صفات الإنسان ليست كصفات الحيوان، فعين الإنسان ليست كعين الحيوان، وقوة الإنسان ليست كقوة الحيوان، ورجل الإنسان ليست كرجل الحيوان، وإذا كانت ذات الله ليست كذات الإنسان فيلزم من ذلك أن تكون صفات الله ليست مثل صفات الإنسان، وإذا ثبت اختلاف الصفات بين الإنسان والحيوان وهما مخلوقان، فمن باب أولى أن تختلف الصفات بين الخالق والمخلوق.

[1] ذكر المؤلف في المبحث الأول مصادر الصفات التي يؤمن بها أهل السنة والجماعة، ثم بعد أن استطرد في الكلام عاد لإتمام الكلام عن أصل هذا المبحث فذكر التعليل على صحة هذه المصادر.

(فإنه) الفاء سببية، أي السبب في إيمانهم بالصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ ما يلي:

(أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً من خلقه) مراده: أن أهل

السنة والجماعة يؤمنون بالصفات التي وصف الله بها نفسه، والسبب في ذلك أن الله تعالى اجتمع في حقه ثلاثة أمور توجب التسليم لوصفه كما هو:

الأول: أنه أعلم بنفسه وبغيره.

الثاني: أنه أصدق قيلاً.

الثالث: أنه أحسن حديثاً من خلقه.

فائدة: الحسن في الحديث يتضمن أمرين: الحسن اللفظي الذي هو الفصاحة، والحسن المعنوي الذي هو الإيضاح، فكلام الله تعالى أفصح الكلام وأوضحه.

(ثم رسله صادقون مصدوقون) مراده أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بصفات الله تعالى التي وصفه بها رسوله محمد ﷺ، والسبب في ذلك أن الرسول اجتمع فيه أمران يوجبان التسليم لوصفه:

الأول: أنه صادق أي في قوله.

الثاني: أنه مصدوق أي فيما يُوحى إليه.

يعني أن الله تعالى أوحى إليه صدقاً، وهو بلغ نفس ما أوحاه الله إليه.

(بخلاف الذين يقولون عليه مالا يعلمون)

مَن هم الذين يقولون ما لا يعلمون؟

هم الذين يتكلمون عن صفات الله بغير وحي من الله.

مراد المؤلف: أن هؤلاء حالَهم في القول مُخَالِفٌ لِحال الرسل، فالرسل صادقون مصدوقون، وهؤلاء كاذبون مكذوبون.

كاذبون أي في قولهم لأنهم قالوا خلاف ما قاله الرسل، مكذوبون أي فيما يوحى

وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ[١].

إليهم لأن الشيطان أوحى إليهم خلاف ما أوحاه الله إلى الرسل.

(**ولهذا قال:** ﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ **فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب**) مراد المؤلف: أن الله تعالى سلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، والسبب في أن قولهم عنه سالم من النقص والعيب هو أنهم صادقون مصدوقون، وأنه تعالى نزه نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، والسبب في ذلك هو أنه إذا كان وصف الرسل سالما من النقص والعيب فلا بد أن يكون وصف من خالفهم فيه نقص وعيب.

[١] هذا المبحث الثاني وهو كيفية وصف الله لنفسه.

(**وهو سبحانه قد جمع**) أي في القرآن.

(**فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات**) أي أن صفات الله تعالى بحسب ما وصف به نفسه في القرآن نوعان: صفات مثبتة، وصفات منفية.

مسألة: هل أسماء الله كذلك نوعان مثبتة ومنفية كما هو ظاهر كلام المؤلف؟

الجواب: نعم أسماء الله نوعان مثبتة ومنفية لكن من حيث المعنى لا من حيث اللفظ.

فأسماء الله من حيث اللفظ كلها مثبتة أي ليس منها شيء مسبوق بأداة نفي.

وأما من حيث المعنى فنوعان:

النوع الأول: أسماء مثبتة، وهي التي تدل على معنى مثبت.

مثاله: "العليم" اسم يدل على معنى مثبت، وهو العلم.

فَلاَ عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلونَ[١].

فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ؛ صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِن النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهداءِ وَالصَّالِحِينَ[٢].

النوع الثاني: أسماء منفية، وهي التي تدل على معنى منفي.

مثاله: "السلام" اسم يدل على معنى منفي وهو النقص، لأن "السلام" معناه: السالم من النقص، وضابط هذا النوع أن يكون المقصود من الاسم هو التَّنْزِيْه.

[١] لَمَّا ذكر كيفية وصف الله لنفسه ناسب أن يذكر ما يتفرع عن ذلك.

(فـــ) الفاء للتفريع، أي كون الله تعالى وصف نفسه بالإثبات والنفي تفرع عن ذلك ما يلي:

(لا عدول لأهل السنة والجماعة) أي لا ميل لهم.

(عما جاء به المرسلون) أي عن الوصف الذي بلغه المرسلون عن ربهم.

مراده: أن الله تعالى وصف نفسه بالإثبات والنفي، وأن المرسلين بلغوا عن ربِّهم هذا الوصف، فتفرع عن ذلك: أنه لا ميل لأهل السنة والجماعة عن وصف الله تعالى بالإثبات والنفي اتباعاً للوصف الذي بلغه المرسلون عن ربهم.

[٢] لما ذكر أن أهل السنة والجماعة يصفون الله تعالى بالإثبات والنفي اتباعاً للوصف الذي بلغه المرسلون عن ربِّهم، ناسب أن يذكر السبب في اتباعهم لهذا الوصف.

(فـــ) الفاء سببية، أي أن أهل السنة والجماعة يصفون الله تعالى بالإثبات والنفي اتباعاً للوصف الذي بلغه المرسلون والسبب في ذلك ما يلي:

(إنه) أي هذا الوصف.

وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلاَصِ الَّتِي تَعدِلُ ثُلُثَ القُرآنِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾[1].

(**الصراط المستقيم**) أي الطريق الذي لا اعوجاج فيه.

(**صراط الذين أنعم الله عليهم**) أي هذا الصراط المستقيم هو الصراط الذي سلكه من أنعم الله عليهم بسلوكه.

(**من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين**) أي الذين أنعم الله عليهم بسلوكه، هم هؤلاء الأصناف الأربعة.

[1] ذكر المؤلف في المبحث الثاني أن الله وصف نفسه بالإثبات والنفي، ثم بعد أن استطرد في الكلام عاد لإتمام الكلام عن أصل هذا المبحث فذكر شواهد من القرآن تدل على أن الله وصف نفسه بالإثبات والنفي.

وهذه الشواهد التي ذكرها على خمسة أنواع:

النوع الأول: سورة تشتمل على صفات مثبتة ومنفية.

النوع الثاني: آية تشتمل على صفات مثبتة ومنفية.

النوع الثالث: آيات تشتمل على صفات مثبتة فقط.

النوع الرابع: آيات تشتمل على صفات منفية فقط.

النوع الخامس: آيات تشتمل على صفات مثبتة فقط.

مسألة: لماذا أخر المؤلف النوع الخامس و لم يدرجه مع النوع الثالث، مع أن النوعين كليهما آيات تشتمل على صفات مثبتة فقط؟

الجواب: إنما أخر هذا النوع لأن الآيات التي فيه تشتمل على صفات سيوجه إليها مزيد اعتناء، وذلك لكون اختلاف الناس فيها أكثر من غيرها.

فإذا قيل: كيف سيوجه المؤلف إلى هذه الصفات مزيد اعتناء؟

فالجواب: بتخصيص فصول لشرحها.

وبدأ المؤلف بالنوع الأول من الشواهد والتي هي سورة تشتمل على صفات مثبتة ومنفية.

(**وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في سورة الإخلاص**) المراد بالجملة ما قاله قبل ذلك (**وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات**) يعني أن الله وصف نفسه في سورة الإخلاص بالإثبات والنفي، فتكون هذه السورة داخلة فيما قرره في هذه الجملة.

(**التي تعدل ثلث القرآن**) أي سورة الإخلاص تساوي ثلث القرآن.

فإذا قيل: بأي اعتبار تعدل ثلث القرآن؟

فالجواب: أن المختار عند المؤلف أنّها تعدل ثلث القرآن باعتبار المعنى، وذلك أن معاني القرآن ثلاثة أنواع: أخبار عن الله، وأخبار عن المخلوق، وأحكام من الله للمخلوق، وهذه السورة كلها اختصت بالخبر عن الله تعالى، فعدلت ثلث القرآن.

(**حيث يقول**: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ . ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾) هاتان الآيتان تضمنتا ثلاث صفات مثبتة، وهي: الإلهية والأحدية والصمدية.

(﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾) هاتان الآيتان تضمنتا ثلاث صفات منفية؛ نفي الولد، ونفي الوالد، ونفي الكفوء يعني المثيل.

وما وصف به نفسه في أعظم آية في كتابه حيث يقول: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾، ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح[1].

معنى الصمد:

للسلف في تفسير الصمد أقوال، والمشهور منها قولان:

أحدهما: أن الصمد هو الذي لا جوف له.

الثاني: أنه السيد الذي يُصمَد إليه في الحوائج.

فالأول قول أكثر السلف وطائفة من أهل اللغة، والثاني قول طائفة من السلف وجمهور اللُغويين.

ذكر المؤلف هذا بمعناه في غير هذا الكتاب.

فائدة: ابتدأ المؤلف من الشواهد بسورة الإخلاص لسببين:

الأول: لكونها سورة، ولهذا فالشواهد التي بعدها كلها آيات.

الثاني: لكونها تشتمل على صفات مثبتة ومنفية، ولهذا فالشواهد التي بعدها كلها تشتمل على صفات مثبتة فقط أو منفية فقط ما عدا النوع الذي سيأتي.

[1] هذا النوع الثاني من الشواهد، والتي هي آية تشتمل على صفات مثبتة ومنفية.

(وما وصف به نفسه في أعظم آية في كتابه) المراد بالآية هنا آية الكرسي، يعني

أن الله وصف نفسه في هذه الآية بالإثبات والنفي كما هو الحال في سورة الإخلاص.

(حيث يقول: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾**)** هذه الجملة تضمنت ثلاث صفات مثبتة، وهي: الإلهية والحياة والقيومية.

(﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾) هذه الجملة تضمنت صفتين منفيتين وهما: السنة والنوم، والسنة معناها: النعاس.

(﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾) هذه الجملة تضمنت صفة واحدة مثبتة وهي الملك.

(﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾) هذه الجملة تضمنت صفة واحدة مثبتة وهي: الإذن بالشفاعة.

(﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴾) هذه الجملة تضمنت صفتين مثبتتين وهما: العلم والمشيئة.

(﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾) هذه الجملة تضمنت ثلاث صفات مثبتة وصفة واحدة منفية، أما الصفات المثبتة فهي: الحفظ والعلو والعظمة، وأما المنفية فهي: الأود، ومعناه: التعب.

(ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح) اللام في قوله: **(ولهذا)** لام السببية.

مراد المؤلف: أن الوصف الذي وصف به نفسه في هذه الآية هو السبب في أن من قرأها يكون محفوظاً ولا يقربه شيطان.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[١].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾[٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾، ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾،

فائدة: أخر المؤلف آية الكرسي بعد سورة الإخلاص لأن تلك سورة وهذه آية، وقدمها على ما بعدها من الآيات لكونها تشتمل على صفات مثبتة ومنفية، ولهذا فالشواهد التي بعدها كلها تشتمل على صفات مثبتة فقط أو منفية فقط.

[١] النوع الثالث من الشواهد آيات تشتمل على صفات مثبتة فقط.

وبدأ المؤلف بهذه الآية التي قصد بها إثبات أربع صفات، وهي: الأولية والآخرية، والظهور، والباطنية.

تنبيه: لا يقصد المؤلف بهذه الآية إثبات صفة العلم لأنه خصص لَها موضعاً جمع فيه بعض الآيات المتعلقة بها.

معاني الأسماء الأربعة التي تضمنتها الآية:

الأول: معناه الموجود الذي لا بداية لوجوده.

الآخر: معناه الباقي الذي لا نهاية لبقائه.

الظاهر: معناه العالي بذاته.

الباطن: معناه القريب بعلمه.

[٢] قصد المؤلف بهذه الآية إثبات صفة الحياة.

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾[1].

وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[2].

وَقَوْلُهُ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[3].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ

---

[1] قصد المؤلف بهذه الآيات إثبات صفة العلم.

فائدة: ذكر المؤلف أولاً الآية التي فيها لفظ "العليم" بالاسم، ثم ذكر بقية الآيات بالفعل ثُمَّ بالوصف، فلعله يريد بقية الآيات كالشرح للآية الأولى، فكأنه يقول: عليم معناه: يعلم ما يلج في الأرض إلخ، ومعناه: عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، وهكذا.

[2] لعل المؤلف قصد بهذه الآية إثبات جميع الصفات التي دلت عليها وهي ثلاث صفات: الرزق، والقوة، والمتانة أي الشدة.

[3] قصد المؤلف بهاتين الآيتين إثبات صفتي السمع والبصر.

وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾، وقَوْله: ﴿ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ ﴾[1].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾، ﴿ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾، ﴿ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾، وقَوْلُهُ: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴾[2].

---

[1] قصد المؤلف بهذه الآيات إثبات صفتي المشيئة والإرادة.

فائدة: ذكر المؤلف أولاً آية في صفة المشيئة خاصة، ثم ذكر آيتين في صفة الإرادة خاصة، وفصل بينهما أعني بين آية المشيئة وآيتي الإرادة بآية تحتوي على الصفتين.

[2] قصد المؤلف بهذه الآيات إثبات صفة المحبة والمودة.

معنى المودة:

قال ابن العربي: اتفق أهل اللغة على أن المودة هي المحبة.

وَقَوْلُهُ: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾، ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾، ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾، ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾، ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾، ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[١].

وَقَوْلُهُ: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾، ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾، ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾[٤].

---

[١] قصد المؤلف بهذه الآيات إثبات صفة الرحمة.

[٢] قصد المؤلف بهذه الآية إثبات صفة الرضى.

[٣] قصد المؤلف بهذه الآيات إثبات صفة الغضب وما في معناه من السخط والأسف والكره والمقت.

[٤] قصد المؤلف بهذه الآيات إثبات صفة الإتيان والمجيء.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[١].

وَقَوْلُهُ: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾، ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾، ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾[٣].

مسألة: ما وجه الدلالة في الآية الأخيرة ؟

الجواب: وجه الدلالة أن تشقق السماء بالغمام يكون مقدمة لإتيان الله تعالى بدليل الآية الأولى.

[١] قصد المؤلف بهاتين الآيتين إثبات صفة الوجه.

فائدة: إثبات البقاء لصفة الوجه يدل على إثبات البقاء للموصوف الذي هو الله عز وجل.

[٢] قصد المؤلف بهاتين الآيتين إثبات صفة اليدين.

[٣] قصد المؤلف بهذه الآيات إثبات صفة العينين.

تنبيه: المؤلف هنا يسوق الآيات دون الأحاديث، ففي هذه الآيات دليل على إثبات صفة العين، وأما الدليل على عدد العين أنها اثنتان فمأخوذ من السنة.

وَقَوْلُهُ: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾، ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾، ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[1].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾[2].

---

(1) قصد المؤلف بهذه الآيات إثبات صفتي السمع والرؤيا.

فائدة: ذكر المؤلف هنا أولاً آيات في صفة السمع خاصة ثُمَّ ذكر آيات في صفة الرؤية خاصة، وفصل بينهما بآية تحتوي على الصفتين.

تنبيه: ذكر المؤلف صفتي السمع والرؤية من قبل، ولكن ذكرهما في ذلك الموضع بلفظ الاسم "سميع" "بصير" وفي هذا الموضع بلفظ الفعل.

(2) قصد بهذه الآيات إثبات صفة المكر وما في معناه من المماحلة والكيد.

معنى المكر:

المكر: إيصال الضرر من حيث يُظن النفع، يعني أن يفعل فعلاً ظاهره النفع ولكن

وَقَوْلُهُ: ﴿ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾، ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾، وَقَوْلُهُ عَنْ إبلِيسَ: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[2].

وَقَوْلُهُ: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[3].

يريد به الإضرار، وهو نوعان:

الأول: مكر بمن يستحق، والثاني: مكر بمن لا يستحق.

فالنوع الأول صفة مدح، وهو الثابت لله تعالى، والنوع الثاني صفة ذم، وله اسم خاص وهو الخيانة، وهذا النوع منفي عن الله تعالى لأنه من الظلم.

[1] قصد المؤلف بهاتين الآيتين إثبات صفتي العفو والمغفرة.

معنى العفو والمغفرة:

العفو والمغفرة معناهما متقارب، عفى الذنب: أي أزاله، غفر الذنب: أي ستره، وكلاهما بمعنى تجاوز عن العقاب بالذنب.

[2] قصد المؤلف بهاتين الآيتين إثبات صفة العزة أي الغلبة.

[3] قصد المؤلف بهاتين الآيتين إثبات الاسم لله تعالى.

والمراد بالاسم المثبت لله تعالى هي جميع الأسماء الحسنى.

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾، ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾، وقَوْلُهُ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾، ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾، وقَوْلُه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾، وقَولُهُ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾، ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

معنى ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾:

قوله: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ هذا استفهام يراد به النفي أي ليس له سمي، يعني لا أحد يستحق أن يسمى بمثل اسمه.

[1] هذا النوع الرابع من الشواهد، والتي هي آيات تشتمل على صفات منفية فقط.
وتضمنت هذه الآيات من الصفات ما يلي:

الآية الأولى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ فيها نفي الكفء، يعني المثيل.

الآية الثانية: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ فيها نفي الأنداد، والأنداد جمع ند ومعناه المثيل.

الآية الثالثة: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ فيها نفي الأنداد أيضاً.

الآية الرابعة: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ فيها نفي اتخاذ الولد، ونفي الشريك في الملك، ونفي الولي من الذل، والولي: هو المقرب، والذل: هو الاحتياج، والمعنى: أن الله لا يقرب أحداً لاحتياجه إليه.

الآية الخامسة: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فيها نفي النقص، لأن قوله: ﴿ يُسَبِّحُ ﴾ معناه: يُنَزِّه، والتَّنْزِيْهُ يكون عن النقص.

الآيتان السادسة والسابعة: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا . ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ في هاتين الآيتين نفي النقص، لأن قوله: ﴿ تَبَارَكَ ﴾ معناه تعالى وتعاظم، والتعالي والتعاظم يكون عن النقص، وفيهما أيضاً نفي الولد، ونفي الشريك في الملك.

وَقَوْلُهُ: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾، ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ فِي ستة مَوَاضِعَ، وَقَوْلُهُ: ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾، ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾، ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾، ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۝ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝ ﴾[1].

الآيتان الثامنة والتاسعة: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ . عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ فيهما نفي اتخاذ الولد، ونفي الشريك في الإلهية، ونفي النقص.

الآية العاشرة: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فيها نفي المثيل، لأن النهي عن ضرب الأمثال يدل على انتفاء المثيل.

الآية الأخيرة: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فيها نفي الشريك.

[1] النوع الخامس من الشواهد آيات تشتمل على صفات مثبتة فقط.

وتقدم التنبيه على أن المؤلف أخر ذكر هذه الآيات لكونها تشتمل على صفات

سيوجه إليها مزيد اعتناء.

وهذه الآيات التي سيذكرها المؤلف كالتالي:

أولاً: آيات قصد بها إثبات صفة العلو.

ثانياً: آيات قصد بها إثبات صفة المعية.

ثالثاً: آيات قصد بها إثبات صفة الكلام؛ وأن القرآن كلام الله.

رابعاً: آيات قصد بها إثبات أن المؤمنين يرون الله في الآخرة.

فبدأ بهذه الآيات التي قصد بها إثبات صفة العلو؛ أي أن الله عال على جميع مخلوقاته لا يعلوه شيء.

فائدة: دلالة القرآن على علو الله متنوعة، ذكر المؤلف منها - بحسب الآيات التي ساقها - ثلاثة أنواع:

الأول: الإخبار بأنه استوى على العرش، لأن العرش أعلى المخلوقات، فإذا كان هو سبحانه استوى على العرش فهو أعلى من جميع المخلوقات.

الثاني: الإخبار برفع الأشياء وصعودها إليه، لأن الإخبار بذلك يدل على علوه.

الثالث: الإخبار بأنه في السماء، لأن السماء في اللغة معناها العلو.

مسألة: ما وجه الدلالة في قوله تعالى عن فرعون: ﴿ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ . أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ﴾؟

الجواب: وجه الدلالة أنه يفهم من السياق أن موسى أخبر فرعون أن الله في السماء، ولهذا طلب بناء الصرح للاطلاع عليه.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾، ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾، ﴿ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾، ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1].

معنى استوى على العرش:

فسر السلف كلمة "استوى" بأربعة ألفاظ متقاربة في المعنى، وهي: علا، وارتفع، وصعد، واستقر.

[1] قصد المؤلف بهذه الآيات إثبات صفة المعية؛ أي أن الله تعالى مع خلقه.

فائدة: ذكر المؤلف صفة المعية بعد صفة العلو إشارة إلى عدم جواز تفسير المعية بمعنى يناقض العلو؛ أي إذا ثبت أن الله تعالى عال على خلقه فلا يجوز تفسير المعية بأنه مختلط مع خلقه لأن هذا التفسير يناقض إثبات صفة العلو.

فائدة أخرى: يستفاد من مجموع هذه الآيات أن معية الله لخلقه نوعان:

النوع الأول: معية عامة، ومعنى عامة: أنه مع جميع الناس، وهذه المعية هي التي

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾، ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾، ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾، ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾، ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾، ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾، ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[1].

بمعنى العلم، كقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ أي معكم بعلمه.

النوع الثاني: معية خاصة، ومعنى خاصة: أنه مع بعض الناس، وهذه المعية هي التي بمعنى الحفظ والتأييد ونحو ذلك.

ثم هذه المعية أيضاً أعني الخاصة نوعان:

النوع الأول: معية مقيدة بشخص، كقوله عن خطاب النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾.

النوع الثاني: معية مقيدة بوصف، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

[1] قصد المؤلف بهذه الآيات إثبات صفة الكلام: أي أن الله تعالى يتكلم.

فائدة: يستفاد من مجموع هذه الآيات أن صفة الكلام لله تعالى ثابتة بعدة ألفاظ؛ منها: التحدث، والقول، والتكلم، والنداء.

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾، ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾، ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ ﴾، ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾، ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾، ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾، ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾[1].

---

(1) قصد المؤلف بهذه الآيات إثبات أن القرآن كلام الله؛ أي أن القرآن كلام، وأن الله تعالى هو الذي تكلم به.

فائدة: أثبت المؤلف أن القرآن كلام الله بعد أن أثبت أن الله يتكلم إشارة إلى أنه يلزم من إثبات الكلام لله إثبات أن القرآن كلامه لأنه مما تكلم به، ولهذا فالذين قالوا إن القرآن ليس كلام الله إنما قالوا ذلك لأنهم يقولون إن الله لا يتكلم.

فائدة أخرى: الدلالة في هذه الآيات على أن القرآن كلام الله نوعان:

النوع الأول: دلالة منطوقة، حيث أخبر الله تعالى أن القرآن كلامه.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾، ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾، ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[1].

النوع الثاني: دلالة مفهومة، حيث أخبر الله تعالى أن القرآن مُنَزَّلٌ منه، فيُفهم من ذلك أنه هو الذي تكلم به.

مسألة: هل يريد المؤلف الكلام عن القرآن فقط أو عن جميع الكتب الْمُنَزَّلة أنَّها كلام الله تعالى؟

الجواب: يريد الكلام عن الكتب الْمُنَزَّلة عموماً والقرآن خصوصاً، ولهذا ذكر قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَه مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾، والمراد بكلام الله هنا التوراة.

مسألة أخرى: ما وجه الدلالة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾؟

الجواب: وجه الدلالة: أن الله تعالى أخبر أن القرآن يقص، والقصص لا يكون إلا قولاً، ولابد من قائل، وقال سبحانه في موضع آخر: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ [يوسف:٣] فدل على أن القائل هو الله تعالى.

[1] قصد المؤلف بهذه الآيات إثبات أن المؤمنين يرون الله في الآخرة.

فائدة: ختم المؤلف آيات الصفات بالرؤية إشارة إلى أن الذين آمنوا بصفات الله في الدنيا هم الذين يستحقون رؤيته في الآخرة.

وهَذَا البابُ فِي كِتَابِ اللهِ كثيرٌ، منْ تَدَبَّرَ القُرآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى منْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ[١].

مسألة: وجه الدلالة في الآية الأولى ظاهر، فما وجه الدلالة في بقية الآيات؟

الجواب: أما قوله: ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ فوجه الدلالة أن المراد ينظرون إلى ربهم، لأنه قال قبل ذلك عن الفجار: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾، وأما قوله: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ فوجه الدلالة أن المراد بالزيادة النظر إلى الله تعالى كما فسرها بذلك النبي ﷺ، وأما قوله: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ فوجه الدلالة في هذه الآية كوجه الدلالة في الآية التي قبلها.

[١] لَمَّا ذكر المؤلف شواهد من القرآن تدل على أن الله وصف نفسه بالإثبات والنفي ناسب أن يذكر بعد ذلك تنبيهين:

التنبيه الأول: قوله: (**وهذا الباب**) أي باب الصفات نفياً وإثباتاً، (**في كتاب الله كثير**) يعني الآيات المتضمنة للصفات المثبتة والمنفية كثيرة جداً.

التنبيه الثاني: قوله: (**من تدبر القرآن**) أي تأمل فيه ليفهم معناه، (**طالباً للهدى منه**) أي يقصد بذلك التوصل للهدى منه، (**تبين له طريق الحق**) أي اتضح له المنهج الصحيح في باب الصفات الذي هو إثبات ما أثبته الله لنفسه ونفي ما نفاه عن نفسه.

ويستفاد من هذا التنبيه أن طريق الحق يتبين بأمرين:

أحدهما: تدبر القرآن، والثاني: النية في طلب الحق.

ويفهم من ذلك أن طريق الحق لا يتبين بأحد أمرين:

فَصْلٌ: ثُمَّ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ القُرْآنَ وَتُبَيِّنُهُ، وَتدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ.

وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِن الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفةِ بِالْقَبُولِ وَجَبَ الإِيمَانُ بِها كَذَلِكَ[١].

إما بعدم تدبر القرآن، وإما بعدم النية في طلب الحق، بل تكون نيته في التدبر أن يأخذ ما يوافق رأيه ويترك ما سواه.

[١] لَمَّا ذكر المؤلف شواهد من القرآن أراد أن يذكر شواهد من السنة، ولكن ذكر قبل ذلك أمرين عن السنة:

الأمر الأول: علاقة السنة بالقرآن (**فالسنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه**) أي أن علاقة السنة بالقرآن تتضمن ثلاثة أشياء:

الأول: أنها تفسر القرآن وتبينه يعني توضح المعنى المراد منه، كما في قوله: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ فسر النبي ﷺ الزيادة بالنظر إلى الله تعالى.

الثاني: أنها تدل عليه، يعني تدل بمثل ما دل عليه القرآن، كالصفات التي ذكرت في القرآن وفي الأحاديث.

الثالث: تعبر عنه، يعني تستقل بتعبير جديد عنه، كالصفات التي ذكرت في الأحاديث ولم تذكر في القرآن.

الأمر الثاني: الموقف من الصفات الواردة في السنة (**وما وصف الرسول به ربه عز وجل من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك**) أي الموقف من الصفات الواردة في السنة وجوب الإيمان بها، بشرط أن تكون الأحاديث التي وردت بها صحيحة.

فمِن ذلك: مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: "يَنْزِلُ ربُّنا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنيا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ منْ يَسْتَغفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

وَقَوْلُهُ ﷺ: "لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ التَّائبِ منْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢].

---

[١] لَمَّا ذكر المؤلف أمرين عن السنة شرع في ذكر الشواهد من السنة.

وهذه الشواهد على نوعين:

النوع الأول: أحاديث تتضمن صفات لم تذكر في القرآن.

النوع الثاني: أحاديث تتضمن صفات ذكرت في القرآن.

وتقدم التنبيه على أن المؤلف أخر ذكر بعض الآيات لكونها تتضمن صفات سيوجه إليها مزيد اعتناء، وهكذا هنا أخر ذكر هذه الأحاديث لكونها تتضمن نفس الصفات التي سيوجه إليها مزيد اعتناء.

والأحاديث التي تتضمن صفات لم تذكر في القرآن، اختار منها ما يلي:

أولاً: حديثاً في إثبات صفة النُّزُوْلِ.

ثانياً: حديثاً في إثبات صفة الفرح.

ثالثاً: حديثين في إثبات صفة الضحك.

رابعاً: حديثاً في إثبات صفة القدم والرجل.

فبدأ بهذا الحديث الذي قصد به إثبات صفة النُّزُوْلِ.

[٢] قصد المؤلف بهذا الحديث إثبات صفة الفرح.

وَقَوْلُهُ ﷺ: "يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلاَهُمَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَقَوْلُهُ: "عَجِبَ رَبُّنا منْ قُنُوط عِبَاده، وقُرْب خَيْره، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فرَجَكُمْ قريبٌ" حَدِيثٌ حَسَنٌ[١].

وَقَوْلُهُ ﷺ: "لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ منْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّة فِيهَا رِجْلَهُ – وَفِي رِوَايَةٍ عَلَيْهَا قَدَمَهُ –؛ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢].

وَقَوْلُهُ: "يَقُولُ تَعَالَى: يَا آدمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيكَ، فَيُنَادي بصَوْت: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ منْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَقَوْلُهُ: "مَا منْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَه تُرْجُمَان"[٣].

وَقَوْلُهُ فِي رُقْيَةِ المَرِيضِ: "رَبَّنَا اللهَ الَّذِي فِي السَّمَاء تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، اجْعَلْ رَحْمَتكَ فِي الأَرْضِ،

---

[١] قصد المؤلف بهذين الحديثين إثبات صفة الضحك.

[٢] قصد المؤلف بهذا الحديث إثبات صفة القدم والرجل.

[٣] الأحاديث التي تتضمن صفات ذكرت في القرآن، اختار المؤلف منها ما يلي:

أولاً: حديثين في إثبات صفة الكلام.

ثانياً: أحاديث في إثبات صفة العلو.

ثالثاً: أحاديث في إثبات صفة المعية والقرب.

رابعاً: حديثاً في إثبات أن المؤمنين يرون الله في الآخرة.

فبدأ بهذين الحديثين اللذين قصد بهما إثبات صفة الكلام.

اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الوَجَعِ" رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَقَوْلُهُ: "أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ" حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَقَوْلُهُ: "وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذلك، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ" رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والترمذي وَغَيْرُهُما، وَقَوْلُهُ للجارية: "أينَ اللهُ؟" قَالَتْ: فِي السماء. قَال: "مَنْ أَنَا؟" قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ الله، قَالَ: "أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١].

وَقَوْلُهُ: "أَفْضَلُ الإِيمَان أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الله مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ" حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَقَوْلُهُ: "إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاَة فَلاَ يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ وَلاَ عَنْ يَمينه؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَقَوْلُهُ ﷺ: "اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآن، أَعُوذُ بكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِها، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْس بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِن الفَقْرِ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَقَوْلُهُ ﷺ لما رَفَعَ أَصْحَابُهُ أَصْوَاهَم بِالذِّكْرِ: "أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسكُم؛ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢].

---

[١] قصد المؤلف بهذه الأحاديث إثبات صفة العلو.

[٢] قصد المؤلف بهذه الأحاديث إثبات صفتي المعية والقرب.

مسألة: وجه الدلالة ظاهر في الحديثين الأول والرابع، فما وجه الدلالة في الحديثين

وَقَوْلُهُ ﷺ: "إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِن اسْتَطَعْتُم أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلاَةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَن رَبِّهِ بِما يُخْبِرُ بِهِ، فَإِنَّ الفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بذَلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِما أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ[٢].

الثاني والثالث؟

الجواب: أما الحديث الثاني، فالشاهد فيه قوله: "**فإن الله قبل وجهه**" أي أمامه، وهذا يدل على معيته سبحانه وقربه من المصلي.

وأما الحديث الثالث، فالشاهد فيه قوله: "**وأنت الباطن فليس دونك شيء**" المراد بالدون: القرب، والمعنى ليس أقرب منك شيء، وهذا يدل على معيته سبحانه وقربه من خلقه.

[١] قصد المؤلف بهذا الحديث إثبات أن المؤمنين يرون الله في الآخرة.

تنبيه: قوله: "**كما ترون القمر ليلة البدر**" هذا تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي، يعني ليس المراد تشبيه الله تعالى بالقمر، بل المراد تشبيه رؤية المؤمنين لله برؤيتهم للقمر من حيث اتضاح الرؤية.

فائدة: كما أن المؤلف ختم آيات الصفات بالرؤية كذلك ختم الأحاديث.

[٢] لَمَّا ذكر المؤلف بعض الأحاديث في الصفات ذكر بعد ذلك موقف أهل السنة والجماعة من الصفات عموماً الواردة في الأحاديث.

بَل هُم الوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الوَسَطُ فِي الأُمَمِ[1].

فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبِّهَةِ، وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ بَيْنَ الْجَبْرِيَّةِ وَالقَدَرِيَّةِ، وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَينَ المُرْجِئَةِ وَالوَعِيدِيَّةِ مِن القَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، وَفِي بَابِ الإِيمَان

فموقفهم من هذه الصفات كموقفهم من الصفات الواردة في الآيات تماماً؛ وهو الإيمان بها مع عدم التعامل معها بالطرق الباطلة، فهم لا يفرقون بين ما جاء في القرآن وما جاء في السنة.

[1] لَمَّا ذكر المؤلف موقف أهل السنة والجماعة في باب الصفات سواء الواردة في الآيات أو الأحاديث ناسب أن يذكر موقفهم في عامة أبواب الدين.

(بل هم الوسط في فرق الأمة) أي هم الوسط بالنسبة للفرق الأخرى في هذه الأمة.

(كما أن الأمة هي الوسط في الأمم) أي كما أن هذه الأمة هي الوسط بالنسبة للأمم الأخرى.

مراده: أن هذه الأمة أفضل من بقية الأمم بالوسطية لكن فضيلة الوسطية لا تنالها جميع فرق هذه الأمة، بل تنالها فرقة واحدة فقط التي هي فرقة أهل السنة والجماعة.

مسألة: ما معنى الوسط والوسطية؟

الجواب: معناها الاعتدال، وضابط هذا الاعتدال: تطبيق الدين كما هو من غير إفراط ولا تفريط.

فإذا قيل: لماذا هذه الفرقة هي التي تنال فضيلة الوسطية دون بقية الفرق؟

فالجواب: لأنها هي الفرقة المعتدلة التي طبقت الدين كما هو.

وَالدِّينِ بَيْنَ الْحَرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ الرَّوَافِضِ وَالْخَوَارِجِ[١].

---

[١] لَمَّا ذكر المؤلف أن أهل السنة والجماعة هم الوسط في عامة أبواب الدين، مثل بعد ذلك بخمسة أبواب من أبواب الدين تدل على وسطيتهم فيها وانحراف الفرق الأخرى عن هذه الوسطية.

وإنما مثل بهذه الأبواب لأن منها ما قد فصل فيها ومنها ما سيفصل فيها.

(فهم وسط في باب صفات اللّه سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة)

هذا الباب الأول؛ باب الصفات.

وموضوع هذا الباب: هل الصفات الواردة في القرآن والسنة تُثبت لله أو تنفى عنه؟

والفرق المنحرفة في هذا الباب قسمان:

القسم الأول: أهل التعطيل.

وهم الذين نفوا الصفات عن الله.

القسم الثاني: أهل التمثيل.

وهم الذين أثبتوا الصفات لله لكن شبهوها بصفات المخلوقين.

وقد تقدم ذكر مذهب أهل السنة والجماعة، وخلاصته: إثبات الصفات مع نفي المماثلة.

فائدة: نص المؤلف على "التعطيل" دون "التحريف" إشارة إلى أن لفظ "التعطيل" إذا ذكر غير مقترن بلفظ "التحريف" فإنه يشمل "التعطيل" و"التحريف"، وعلى

هذا فالتعطيل هنا معناه: النفي بإبدال معنى أو من غير إبدال.

ونص على فرقة "الجهمية" لأنها هي أول من اشتهر عنها القول بالنفي.

ولم يذكر "أهل التكييف" وقد يكون ذلك لأجل قلتهم.

(وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية)

هذا الباب الثاني؛ باب أفعال الله.

وموضوع هذا الباب: هل أفعال العباد تنسب إليهم أو تنسب إلى الله؟

والفرق المنحرفة في هذا الباب قسمان:

القسم الأول: الجبرية.

وهم الذين نسبوا أفعال العباد إلى الله، فقالوا: إن الله خلق أفعال العباد، وهو الفاعل لأفعالهم حقيقة.

القسم الثاني: القدرية.

وهم الذين نسبوا أفعال العباد إليهم، فقالوا: إن العباد خلقوا أفعالهم، وهم الفاعلون لأفعالهم حقيقة.

وسيأتي ذكر مذهب أهل السنة والجماعة.

(وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم)

هذا الباب الثالث؛ باب وعيد الله.

والمراد بالوعيد: ما توعد الله به الفاسق.

والفاسق هو: المسلم الذي يرتكب الكبيرة غير المكفرة.

وموضوع هذا الباب: ما هو حكم الفاسق في الآخرة؟

وهذا يتضمن مسألتين:

المسألة الأولى: هل الفاسق يستحق الدخول في النار؟

المسألة الثانية: إذا دخل النار هل يخلد فيها؟

والفرق المنحرفة في هذا الباب قسمان:

القسم الأول: المرجئة.

وهم الذين قالوا: إن الفاسق إذا مات ولو من غير توبة فإنه لا يستحق دخول النار مطلقاً.

القسم الثاني: الوعيدية.

وهم الذين قالوا: إن الفاسق إذا مات من غير توبة فإنه يدخل النار مخلدا فيها.

وسيأتي ذكر مذهب أهل السنة والجماعة.

(وفي باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية)

هذا الباب الرابع باب الإيمان والدين.

وموضوع هذا الباب: ما هو حكم الفاسق في الدنيا؟

وهذا يتضمن مسألتين:

المسألة الأولى: هل يقال إن الفاسق مسلم أو يقال إنه كافر؟

المسألة الثانية: هل يقال إنه مؤمن أو يقال إنه ليس بمؤمن؟

والفرق المنحرفة في هذا الباب قسمان:

القسم الأول: الحرورية والمعتزلة.

وهم الذين قالوا: إن الفاسق ليس بمسلم ولا مؤمن.

ولكن اختلفوا هل هو كافر أو لا؟

فقالت الحرورية: كافر.

وقالت المعتزلة: ليس بكافر؛ بل هو في مَنْزِلة بين الْمَنْزِلتين؛ بين الكفر والإسلام.

تنبيه: الحرورية هم الخوارج.

القسم الثاني: المرجئة والجهمية.

وهم الذين قالوا: إنه ليس بكافر، بل هو مسلم ومؤمن كامل الإيمان.

وسيأتي ذكر مذهب أهل السنة والجماعة.

(وفي أصحاب رسول اللّه ﷺ بين الروافض والخوارج)

هذا الباب الخامس باب أصحاب رسول الله ﷺ.

وموضوع هذا الباب: ما هو الموقف من أصحاب رسول الله ﷺ من حيث المحبة والبغض وغير ذلك؟

والفرق المنحرفة في مسألة المحبة والبغض قسمان:

القسم الأول: الروافض.

وهم الذين غلوا في محبة علي رضي الله عنه وآل البيت وأبغضوا أكثر من سواهم من الصحابة.

القسم الثاني: الخوارج.

وهم الذين أبغضوا أكثر الصحابة ومنهم علي رضي الله عنه.

وسيأتي ذكر مذهب أهل السنة والجماعة.

فَصْلٌ: وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِن الإِيمَانِ بِاللهِ:

الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ وَأَجْمَعَ عَلَيهِ سَلَفُ الأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾، وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لاَ تُوجِبُهُ اللُّغَةُ وَهُوَ خِلاَفُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ وَخِلاَفُ مَا فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ الْخلْقَ، بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرِ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ إِلَيْهِمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ.

وَكُلُّ هَذَا الْكَلاَمِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ – مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا – حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ لاَ يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ.

وَلَكِنْ يُصَانُ عَنْ الظُّنُونِ الكَاذِبَةِ.

مِثْلَ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ أَنَّ السَّمَاءَ تُظِلُّهُ أَوْ تُقِلُّهُ، وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ العِلْمِ وَالإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾، وَهُوَ ﴿ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ ﴾، ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ

أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾، ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾[1].

---

[1] تقدم التنبيه على أن المؤلف أخر ذكر بعض الآيات لكونها تتضمن صفات سيوجه إليها مزيد اعتناء، وكذلك أخر ذكر بعض الأحاديث لكونها تتضمن نفس هذه الصفات.

وتقدم التنبيه أيضاً على أن كيفية الاعتناء بهذه الصفات هو بتخصيص فصول لشرحها.

وهذه الفصول التي خصصها المؤلف لشرح بعض الصفات كالتالي:

الفصل الأول: خصصه للكلام عن صفتي العلو والمعية.

الفصل الثاني: خصصه للكلام عن صفتي القرب والإجابة.

الفصل الثالث: خصصه للكلام عن القرآن.

الفصل الرابع: خصصه للكلام عن رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

وبدأ بالفصل الأول الذي خصصه للكلام عن صفتي العلو والمعية.

(وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله) الذي ذكره المؤلف من الإيمان بالله هو الإيمان بالصفات، ومراده أن الشيء الذي سيذكره الآن يدخل في الإيمان بالصفات.

(الإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله ﷺ وأجمع عليه سلف الأمة) أي الشيء الذي سيذكره دل على الإيمان به أنواع الأدلة الثلاثة الكتاب والسنة والإجماع.

(من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه علي على خلقه وهو سبحانه معهم أينما

كانوا يعلم ما هم عاملون) أي الشيء الذي سيذكره وهو يدخل في الإيمان بالصفات ودل على الإيمان به أنواع الأدلة الثلاثة هما صفتا العلو والمعية.

(كما جمع بين ذلك في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾) أي أن الله تعالى جمع لنفسه في هذه الآية بين صفتي العلو والمعية، فقوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ﴾ دال على العلو، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ دال على المعية.

(وليس معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ **أنه مختلط بالخلق)** أي هذه الكلمة التي في الآية لا تدل على الاختلاط.

(فإن هذا لا توجبه اللغة وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق) الفاء في قوله: **(فإن هذا)** فاء السببية، أي والسبب في أن هذه الكلمة لا تدل على الاختلاط هو هذه الأوجه الثلاثة:

الوجه الأول: أن هذا المعنى لا توجبه اللغة، يعني أن كلمة "مع" في اللغة ليست واجباً أن تكون بمعنى الاختلاط، ويُفهم من كلام المؤلف أن هذه الكلمة يجوز أن تكون بمعنى الاختلاط، والفرق بين الوجوب والجواز أنها لو كانت واجباً نجزم في أي موضع أنها بمعنى الاختلاط، ولو كانت جائزاً لا نجزم أنها بمعنى الاختلاط بل يُنظر في موضعها من الكلام هل هي بمعنى الاختلاط أو لا.

الوجه الثاني: أنه خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، أي أن السلف أجمعوا على عدم

مخالطة الله تعالى لِخلقه، ويستفاد من هذا الإجماع الجزم بأن كلمة "مع" في هذه الآية ليست بمعنى الاختلاط.

الوجه الثالث: أنه خلاف ما فطر الله عليه الخلق، يعني أن الناس خُلِقُوا وهم مقرون في أنفسهم أن الله عال غير مخالط للخلق، ويستفاد من هذا الوجه أيضاً نفس ما يستفاد من الوجه الذي قبله.

(**بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان**) أي أن القمر عال ومع ذلك هو مع الناس، فاجتمعت فيه صفتا العلو والمعية.

مراده أن يضرب مثلاً يدل على أن كلمة "مع" لا توجب الاختلاط.

(**وهو سبحانه فوق عرشه رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع إليهم إلى غير ذلك من معاني ربوبيته**) أي يلزم من كونه الرب أن يكون عالياً على خلقه لا يعلوه شيء من مخلوقاته؛ وأن يكون معهم لا يخفى عليه شيء من أعمالهم.

مراده: أنه إذا كانت صفتا العلو والمعية قد تجتمعان في مخلوق صغير كالقمر فمن باب أولى أن تجتمعا في الخالق لأن اجتماعهما فيه من لوازم ربوبيته.

(**وكل هذا الكلام – الذي ذكره الله – من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته**) أي هو فوق العرش حقيقة وهو معنا حقيقة.

(**لا يحتاج إلى تحريف**) أي الكلام بأنه فوق العرش وأنه معنا لا يحتاج إلى تحريف.

فأما التحريف فهو أن يقال: إنه فوق العرش؛ ولكن ليس فوق العرش حقيقة، ويقال: إنه معنا؛ ولكن ليس معنا حقيقة.

ثم تُفسَّر الفوقية والمعية بمعنى آخر غير المعنى المراد.

وقصد المحرِّفين من التحريف تَنْزيه الله تعالى عن النقص؛ فينفون الصفة التي يظنون أن إثباتها يوجب نقصا ويفسرونها بصفة أخرى يظنون أن إثباتها لا يوجب نقصا.

وأما السبب في عدم احتياج هذا الكلام إلى التحريف فهو أن إثبات الفوقية كمال وليس بنقص؛ وأن إثبات المعية ليس معناه إثبات الاختلاط بل معناه إثبات الإحاطة بالعلم وهذا أيضاً كمال ليس بنقص، فلا حاجة للتحريف.

(**ولكن يصان عن الظنون الكاذبة**) أي هذا الكلام بأن الله فوق العرش حقيقة وأنه معنا حقيقة يجب أن يُحمى من الأوهام المخالفة للواقع.

(**مثل أن يظن أن ظاهر قوله: ﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ أن السماء تظله أو تقله**)

هذا ضرب مثل لظن من الظنون الكاذبة التي ترد في ذهن الإنسان.

ومعنى تظله: أي تعلوه، ومعنى تقله: أي تحمله.

فإذا قيل: ما هو الشيء الفاسد الذي يقتضيه هذا الظن؟

فالجواب: أما الظن بأن السماء تعلوه فإنه يقتضي وجود شيء من مخلوقاته أعلى منه، وأما الظن بأن السماء تحمله فإنه يقتضي أن الله محتاج إلى السماء بحيث لو لم تحمله لسقط؛ تعالى الله عن ذلك.

(**وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان**) أي هذا الظن باطل بالإجماع.

(**فإن الله قد** ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ **وهو** ﴿ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾ ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾) الفاء في قوله: (**فإن الله**) فاء

فَصْلٌ: وقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ:

الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ مُجِيبٌ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ .... ﴾ الآية، وَقَوْلُهُ ﷺ "إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ".

وَمَا ذُكِرَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لاَ يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِه؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ فِي جَمِيعِ نُعوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ[١].

السببية؛ أي والسبب في الإجماع على بطلان هذا الظن هو وجود الأدلة المخالفة له.

أما الآية الأولى فهي دليل على امتناع أن السماء تعلوه، ووجه الدلالة: أن كرسيه وسع السماوات والأرض، وهذا يدل على أن الكرسي أكبر من السماوات والأرض وأعلى منهما، فإذا كان الكرسي أعلى من السماوات وهو سبحانه أعلى من الكرسي فكيف تكون السماء أعلى منه؟!

وأما بقية الآيات فهي دليل على امتناع احتياجه للسماء أن تحمله، ووجه الدلالة: أن السماوات والأرض محتاجة إليه لبقائها فكيف يكون هو محتاجاً إلى شيء منها؟!

[١] هذا الفصل الثاني الذي خصصه المؤلف للكلام عن صفتي القرب والإجابة.

(وقد دخل في ذلك) أي في الإيمان بالصفات.

(الإيمان بأنه قريب من خلقه مجيب) مراد المؤلف: أن الإيمان بقربه وإجابته داخل في الإيمان بصفاته.

(كما جمع بين ذلك في قوله ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ...﴾ **الآية وقوله ﷺ: "إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته")** أي أن الله تعالى جمع لنفسه في هذه الآية بين صفتي القرب والإجابة، وكذلك النبي ﷺ وصف الله تعالى في هذا الحديث بهاتين الصفتين.

فقوله في الآية: ﴿ قَرِيبٌ ﴾ دال على القرب، وقوله: ﴿ أُجِيبُ ﴾ دال على الإجابة.

وقوله في الحديث: "أقرب" دال على القرب بالمنطوق وعلى الإجابة بالمفهوم؛ لأن الإخبار بأنه قريب من الداعي يفهم منه أنه يجيبه.

(وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته)

لا ينافي: أي لا يعارض، يعني كونه تعالى قريباً لا يعارض كونه عالياً وفوق العرش.

(فإنه سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ **في جميع نعوته)** الفاء في قوله: **(فإنه سبحانه)** فاء السببية، أي والسبب في عدم هذا التنافي هو أنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع صفاته.

يشير إلى أنه لو افترض تنافي اجتماع هاتين الصفتين في المخلوق فلا يلزم من ذلك تنافي اجتماعهما في الخالق؛ لأنه ليس مثل المخلوق.

(وهو علي في دنوه قريب في علوه) أي نتيجة لعدم وجود التنافي؛ فهو عال مع كونه قريباً وقريب مع كونه عالياً.

وَمِن الإِيمَان بالله وَكُتُبِهِ:

الإِيمَانُ بِأَنَّ القُرْآنَ كَلاَمُ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مخلوق، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا القُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلاَمُ اللهِ حَقِيقَةً لاَ كَلاَمَ غَيْرِه، وَلاَ يَجُوزُ إِطْلاَقُ القَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلاَمِ اللهِ أَوْ عِبَارَةٌ، بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي المَصَاحِفِ لم يَخْرجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلاَمَ اللهِ تَعَالَى حَقِيقَةً؛ فَإِنَّ الكَلاَمَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئاً لاَ إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغاً مُؤَدِّيًا.

وَهُوَ كَلاَمُ اللهِ حُرُوفُهُ وَمَعَانِيهِ، لَيْسَ كَلاَمُ اللهِ الحُرُوفَ دُونَ المَعَانِي، وَلاَ الْمَعَانِي دُونَ الْحُرُوفِ[1].

---

[1] هذا الفصل الثالث الذي خصصه المؤلف للكلام عن القرآن.

إلا أنه لم يذكر كلمة "فصل".

(ومن الإيمان بالله وكتبه) مراده: أن الإيمان بالقرآن داخل في الإيمان بالله وكتبه، وجه ذلك: أن القرآن كلام الله فهو داخل في الإيمان بالله، وأنه كتاب من كتبه فهو داخل في الإيمان بكتبه.

(الإيمان بأن القرآن كلام الله مُنَزَّلٌ غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود) أي أن الإيمان بالقرآن يتضمن خمسة أشياء:

الأول: الإيمان بأنه كلام الله، يعني هو الذي تكلم به.

الثاني: الإيمان بأنه مُنَزَّلٌ، يعني من عنده.

الثالث: الإيمان بأنه غير مخلوق، يعني لكونه كلامه.

فالكلام صفة، والصفة تتبع الموصوف، فكما أن الله تعالى غير مخلوق فكذلك صفته.

الرابع: الإيمان بأنه منه بدأ، يعني هو الذي تكلم به ابتداء.

الخامس: الإيمان بأنه إليه يعود، يعني يرجع.

وذلك بأن يرفع في آخر الزمان فلا يبقى منه شيء في الصدور ولا في الصحف.

(وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة) هذا الذي قاله المؤلف مفهوم مما قاله قبل ذلك، لكن نص عليه قصدا لمخالفة من قال بضد هذا القول أعني مخالفة أربع فرق:

الفرقة الأولى: الذين قالوا إن القرآن ليس كلام الله حقيقة.

بل هو خالق القرآن، وغيره الذي تكلم به، وما جاء من الأدلة في أنه تكلم بالقرآن فعلى سبيل المجاز.

الفرقة الثانية: الذين قالوا إن القرآن كلام الله حقيقة.

لكن المراد أنه خلق الكلام في غيره، وغيره الذي تكلم به.

وخلاصة قول هاتين الفرقتين أن القرآن مخلوق.

الفرقة الثالثة: الذين قالوا: "إن القرآن حكاية عن كلام الله".

الفرقة الرابعة: الذين قالوا: "إن القرآن عبارة عن كلام الله".

ومراد الفرقتين: أن الله في نفسه كلام لم يتكلم به، وغيره تكلم به يحكي بذلك كلام الله، أو يعبر بذلك عما في نفس الله من الكلام.

وخلاصة قول هاتين الفرقتين أن لفظ القرآن مخلوق وما دل عليه من المعنى غير مخلوق.

(بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يَخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً) قصد المؤلف بهذا القول الرد على نفس أولئك القائلين: "إن القرآن كلام الله لكن ليس كلامه حقيقة" ويدَّعون أن الذي تكلم به جبريل ويَحتجون بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ [التكوير:١٩]، ووجه الرد عليهم: أن الناس إذا قرؤوا القرآن لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة، وكذلك لو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة، والفاء في قوله: **(فإن الكلام)** فاء السببية، أي وسبب عدم خروجه بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة هو أن الكلام في الحقيقة كلام المبتدِئ به، فإذا تكلم به غيره فإنَّما هو مبلغٌ مؤدٍ فقط، وعلى هذا فإضافة القول بالقرآن إلى جبريل ليس لأنه تكلم به ابتداءً؛ لأن الذي تكلم به ابتداءً هو الله تعالى، وإنما أضيف إلى جبريل لأنه أداه وبلغه بعد ما سمعه من الله تعالى.

(وهو كلام الله حروفه ومعانيه) أي أن الإيمان بأن القرآن كلام الله يشمل الحروف والمعاني، يعني الحروف من كلام الله والمعاني من كلام الله.

والمراد بالحروف: ألفاظ القرآن، والمعاني: ما دلت عليه هذه الألفاظ.

(ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف) هذا الذي قاله مفهوم مما قاله قبل ذلك، لكن نص عليه قصداً لِمخالفة من قال بغير هذا القول، أعني مخالفة فرقتين:

الفرقة الأولى: الذين قالوا: "إن القرآن كلام الله الحروف دون المعاني".

وقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِن الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلائِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ، كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْس دُونَهَا سَحَابٌ وَكَمَا يَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ لاَ يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَرونَهُ بَعْدَ دُخُولِ الجَنَّةِ كَمَا يَشَاءُ اللهُ تَعَالَى[١].

وقول هذه الفرقة متفرع عن القول بأن تعريف الكلام سواء كلام الله أو كلام غيره هو اللفظ دون المعنى.

الفرقة الثانية: الذين قالوا: "إن القرآن كلام الله المعاني دون الحروف".

وقول هذه الفرقة متفرع عن القول بـــ "أن القرآن كلام الله لكن ليس كلامه حقيقة".

تنبيه: لم يَرُدَّ المؤلف على هاتين الفرقتين:

أما الفرقة الأولى: فلم يرد عليها لاتضاح خطئها، لأن الكلام عند العرب والعجم يتضمن اللفظ والمعنى.

وأما الفرقة الثانية: فلم يرد عليها لأن قولها متفرع عن أصل باطل وهو أن الله تعالى لم يتكلم بالقرآن، وقد سبق الرد على هذا الأصل، وإذا بطل الأصل بطل الفرع.

[١] هذا الفصل الرابع الذي خصصه المؤلف للكلام عن رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة. إلا أنه أيضاً لم يذكر كلمة "فصل".

(وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه وبملائكته وبرسله)

مراده: أن الإيمان برؤية المؤمنين لربهم داخل في أربعة أصول من أصول الإيمان الستة.

وجه ذلك: أن المرئي هو الله تعالى، فالإيمان برؤيته داخل في الإيمان بالله، وأن الكتب أخبرت بذلك فالإيمان برؤيته داخل في الإيمان بالكتب، وأن الملائكة أنزلت الكتب إلى الرسل فالإيمان برؤيته داخل في الإيمان بالملائكة، وأن الرسل بلغوا ذلك للناس فالإيمان برؤيته داخل في الإيمان بالرسل.

فائدة: أدخل المؤلف الإيمان بالرؤية في الإيمان بالملائكة والكتب والرسل لكونه لن يتكلم عن هذه الأصول الثلاثة، فاكتفى بذكر أن الإيمان بالرؤية داخل فيها.

مسألة: لِماذا لم يُدخِل الإيمان بالرؤية في الإيمان باليوم الآخر مع أن الرؤية تكون في ذلك اليوم؟

الجواب: لأنه سيتكلم عن هذا الأصل.

(الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عياناً بأبصارهم)

(عياناً) أي معاينة ومشاهدة **(بأبصارهم)** أي بواسطة أبصارهم.

فيستفاد من ذلك أن رؤيتهم لربهم رؤية حقيقية.

(كما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحاب وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته)

(لا يضامون في رؤيته) أي لا يصيبهم ضيم، والضيم هو الحسرة، يعني لا تصيبهم حسرة بحيث لا تتضح رؤيته لبعضهم.

فيستفاد من ذلك أن رؤيتهم لربهم رؤية واضحة جداً.

(يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة ثم يرونه بعد دخول الجنة) أي رؤيتهم لربهم تكون في موضعين:

فَصْلٌ: وَمِن الإِيمَان بِاليَومِ الآخِرِ:
الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ[1].

الموضع الأول: في عرصات القيامة يعني في ساحات القيامة.

الموضع الثاني: بعد دخول الجنة.

(**كما يشاء الله تعالى**) أي كيفية الرؤية كما يشاء الله تعالى.

[1] لَمَّا انتهى المؤلف من التفصيل في الأصل الأول؛ شرع في التفصيل في الأصل الخامس الذي هو الإيمان باليوم الآخر.

وتقدم التنبيه على أنه لن يتكلم عن الأصل الثاني والثالث والرابع.

(**ومن الإيمان باليوم الآخر**)

(**من**) بِمعنى بعض، أي وبعض ما يدخل في الإيمان باليوم الآخر.

(**الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ**)

هذا يشمل ما أخبر به مباشرة، وما أخبر به بواسطة القرآن.

مراد المؤلف: أن الإيمان باليوم الآخر يتضمن أموراً، وأنه إنَّما سيتكلم عن بعض هذه الأمور لا كلها.

مسألة: ما هي الأمور التي يتضمنها الإيمان باليوم الآخر؟

الجواب: ظاهر كلام المؤلف أن الإيمان باليوم الآخر يتضمن أمرين:

الأمر الأول: الإيمان بما يكون في الموت.

الأمر الثاني: الإيمان بما يكون بعد الموت.

فإذا قيل: ما هو الأمر الذي سيتكلم عنه المؤلف من هذين الأمرين؟

فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ القَبْرِ، وَبِعَذَابِ القَبْرِ وَنَعِيمِهِ.

فَأَمَّا الفِتْنَةُ فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ؛ فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنيا وَفِي الآخِرَةِ، فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: اللهُ رَبِّي، وَالإِسْلاَمُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي، وَأَمَّا المُرْتَابُ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمَرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلاَّ الإِنْسَانَ وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ لَصَعِقَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الفِتْنَةِ: إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ القِيَامَةُ الكُبْرَى، فَتُعادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ[1].

فالجواب: سيتكلم عن الإيمان بما يكون بعد الموت كما نص هو على ذلك.

وسيذكر فيما يتعلق بالإيمان بما يكون بعد الموت أمرين:

الأمر الأول: الإيمان بما يكون في القبر.

الأمر الثاني: الإيمان بالقيامة الكبرى وما يكون فيها.

[1] هذا الأمر الأول، الذي هو الإيمان بما يكون في القبر.

(فيؤمنون بفتنة القبر) الفتنة: الاختبار، يعني يؤمنون بأن في القبر اختباراً.

(وبعذاب القبر ونعيمه) يعني يؤمنون بأن في القبر نعيماً وعذاباً، وأن الميت فيه إما منعم وإما معذب.

(فأما الفتنة ... إلخ) أي كيفية الفتنة في القبر هي بأن يسأل الميت هذه الأسئلة الثلاثة، ثم هو إما أن يجيب وإما أن لا يجيب.

(ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى فتعاد الأرواح

وَتَقُومُ القِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ(١).

إلى الأجساد) هذه الجملة تضمنت ثلاثة أمور:

الأول: أن النعيم والعذاب يكونان بعد الفتنة.

ويستفاد من ذلك أن النعيم والعذاب يتعين أحدهما بحسب نتيجة الفتنة.

الثاني: أن النعيم والعذاب يستمران إلى وقت القيامة الكبرى.

الثالث: أن الأرواح تعاد إلى الأجساد، يعني تهيئاً للقيام.

مسألة: القول بأن النعيم والعذاب يستمران إلى وقت القيامة الكبرى، هل المراد به أن كل من ابتُدِئ به النعيم أو العذاب يستمر به الشيء الذي ابتُدِئ به إلى وقت القيامة؟

الجواب: ليس هذا هو المراد، بل المراد أن الميت لا يخلو من أحدهما بأن يكون لا منعماً ولا معذباً.

فأما من ابتُدِئ به النعيم فيستمر منعماً إلى وقت القيامة.

وأما من ابتُدِئ به العذاب، فلا يخلو من حالتين:

الحالة الأولى: أن يستمر به العذاب إلى وقت القيامة.

الحالة الثانية: أن ينقطع عنه العذاب لسبب، كأن يكون هذا الذي يستحقه فقط.

(١) هذا الأمر الثاني الذي هو الإيمان بالقيامة الكبرى وما يكون فيها.

وسيذكر المؤلف عن هذا الأمر سبعة مباحث:

المبحث الأول: بيان أنواع الأدلة على القيامة الكبرى.

فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ؛ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، وَتَدْنُو مِنْهُم الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُم العَرَقُ[1].

المبحث الثاني: بيان حال الناس عند قيامهم من القبور، وعند انتظارهم للحساب.

المبحث الثالث: بيان مشهدين من المشاهد التي تكون بعد الإذن بالحساب.

المبحث الرابع: بيان كيفية الحساب.

المبحث الخامس: بيان مشاهد تكون بعد الانتهاء من الحساب.

المبحث السادس: بيان الشفاعات التي يقوم بها النبي ﷺ في ذلك اليوم.

المبحث السابع: بيان المصادر التي تُعرف بها أنواع ما يجري في الدار الآخرة وتفاصيل ذلك.

وبدأ بالمبحث الأول الذي هو بيان أنواع الأدلة على القيامة الكبرى.

(**وتقوم القيامة الكبرى**) أي قيام جميع الناس من قبورهم أحياء.

(**التي أخبر الله بها في كتابه**) أي في القرآن.

(**وعلى لسان رسوله**) أي في السنة.

(**وأجمع عليها المسلمون**) أي العلماء وغيرهم.

الخلاصة: أن أنواع الأدلة على القيامة الكبرى هي القرآن والسنة والإجماع.

[1] هذا المبحث الثاني وهو بيان حال الناس عند قيامهم من القبور، وعند انتظارهم للحساب.

(**فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلاً**) هذا هو حالهم عند القيام.

(**حفاة**) أي من غير أحذية، (**عراة**) أي من غير ثياب، (**غرلاً**) أي غير مختونين.

فَتُنْصَبُ المَوَازِينُ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ العِبَادِ ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾، **وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ، فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى:** ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾[1].

(**وتدنو منهم الشمس ويلجمهم العرق**) هذا هو حالهم عند انتظارهم للحساب.

(**تدنو منهم الشمس**) أي تقرب منهم، (**ويلجمهم العرق**) أي يصل العرق إلى أفواههم، فيصير كاللجام الذي يوضع في فم الفرس؛ وذلك نتيجة لاقتراب الشمس منهم، والمراد بوصول العرق إلى أفواههم هو أن العرق يتصبب منهم حتى يصل إلى الأرض ثم يرتفع حتى يصل إلى أفواههم.

[1] هذا المبحث الثالث وهو بيان مشهدين من المشاهد التي تكون بعد الإذن بالحساب.

المشهد الأول: نصب الموازين.

المشهد الثاني: نشر الدواوين.

(**فتنصب الموازين**) أي توضع، (**فتوزن بها أعمال العباد**) أي الأعمال الحسنة في كفة والأعمال السيئة في كفة.

(﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾) المراد بالموازين في الآية الأعمال الحسنة.

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ أي رجحت أعماله الحسنة.

﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ أي خفت أعماله الحسنة.

والشاهد من الآية: إثبات الوزن للأعمال في ذلك اليوم.

(وتنشر الدواوين) أي تفتح.

(وهي صحائف الأعمال) هذا تفسير للدواوين.

أي هي الصحائف التي كُتِبت فيها أعمال العباد.

(فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره)

أي الناس عند أخذهم لصحائفهم على نوعين:

الأول: من يأخذ كتابه بيمينه.

الثاني: من يأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره.

تنبيه: ظاهر كلام المؤلف أن النوع الثاني صنفان:

منهم من يأخذ كتابه بشماله.

ومنهم من يأخذه من وراء ظهره.

والمعروف عن السلف أن الذي يأخذ كتابه بشماله هو نفسه يأخذه من وراء ظهره.

(كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾)

الشاهد من الآية: إثبات نشر الدواوين في ذلك اليوم.

ويُحاسِبُ اللهُ الخلائِقَ:

ويخلُو بعبدِه المؤمِنِ فِيقرره بذنوبه كمَا وُصِفَ ذلك فِي الكِتَاب والسُّنةِ.

وأمَّا الكفارُ فلا يُحاسبونَ مُحاسبةَ مَن تُوزَنُ حسناتهُ وسيئاته؛ فإنَّهُ لا حسناتِ لهم، ولكن تُعَدُّ أعمَالُهم فتُحصى فِيوقفون عليها ويُقَرَّرُونَ بها ويُجْزَوْنَ بِهَا[1].

---

[1] هذا المبحث الرابع وهو بيان كيفية الحساب.

(ويحاسب الله الخلائق) أي يكلمهم بنفسه فيذكرهم بأعمالهم التي قدموها في الدنيا.

(ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة)

أي كيفية محاسبته للمؤمن تتضمن أمرين:

الأول: أنه يخلو به، يعني ينفرد به فلا يجعل أحداً يسمع ما يكلمه به؛ وذلك ستراً عليه.

الثاني: يقرره بذنوبه، يعني يعرض عليه ذنوبه فيجعله يعترف بها؛ وذلك إظهاراً لمنته عليه، حيث سترها عليه في الدنيا ويغفرها له في ذلك اليوم.

(وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيآته فإنه لا حسنات لهم)

أي محاسبته تعالى للكفار ليست كمحاسبته للمسلمين.

والفاء في قوله: **(فإنه)** فاء السببية، أي والسبب في ذلك أن الكفار لا حسنات لهم، يعني لأن لهم سيآت وليست لهم حسنات لا يكون حسابهم مثل الذين لهم سيآت وحسنات.

فإذا قيل: لماذا الكفار ليست لهم حسنات؟

وَفِي عَرْصَةِ القِيَامَةِ الحَوْضُ المَوْرُودُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِن اللَّبنِ وَأَحْلَى مِن الْعَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَن يَشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً لاَ يَظْمأُ بَعْدَهَا أَبَدًا.

وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ البَصَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُم مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الجَوَادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ خَطْفًا وَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الجِسْرَ عَلَيْهِ كَلاَلِيبُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ وُقِفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لبعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ.

فالجواب: لأن الكفر يحبط جميع الحسنات.

(ولكن تعد أعمالهم وتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها)

أي كيفية محاسبته للكفار تتضمن خمسة أمور:

الأول: تعد أعمالهم، يعني تعدد عليهم؛ فتذكر السيئة بعد السيئة.

الثاني: تحصى، يعني تجمع كلها ، فلا يترك شيء منها.

الثالث: يوقفون عليها، يعني يستمعون إليها كلها.

الرابع: يقررون بها، يعني يطلب منهم الاعتراف بها.

الخامس: يجزون بها، يعني يعاقبون بسببها.

وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِن الأُمَمِ أُمَّتُهُ[١].

---

[١] هذا المبحث الخامس وهو بيان مشاهد تكون بعد الانتهاء من الحساب.

فذكر المؤلف أربعة مشاهد:

المشهد الأول: ورود الحوض.

المشهد الثاني: المرور على الصراط.

المشهد الثالث: الوقوف على القنطرة.

المشهد الرابع: دخول الجنة.

(**وفي عرصة القيامة**) أي في ساحة اجتماع الناس يوم القيامة.

(**الحوض**) أي مجمع الماء، يعني الشيء الذي يُجمع فيه الماء.

(**المورود**) أي الذي يورد، يعني يؤتى للشرب منه.

(**للنبي ﷺ**) أي الذي أعطاه الله عز وجل النبي ﷺ إكراماً له.

ثم ذكر المؤلف فيما يتعلق بهذا الحوض أربعة أمور:

الأول: صفة مائه من حيث اللون والطعم، فقال: (**ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل**).

الثاني: عدد آنيته التي يشرب بها، فقال: (**آنيته عدد نجوم السماء**).

الثالث: مساحته طولاً وعرضاً، فقال: (**طوله شهر وعرضه شهر**).

الرابع: أثر الشرب منه فقال: (**من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا**).

(**والصراط**) أي الطريق الذي يمر الناس عليه بعد الانتهاء من الحساب.

(منصوب على متن جهنم) أي موضوع على ظهر جهنم.

فهو بالأعلى وجهنم أسفل منه.

(وهو الجسر الذي بين الجنة والنار) أي مُمَّتد وفاصل بين الجنة والنار.

وكيفية هذا الفصل أن النار أسفل منه والجنة نهايته.

(يمر الناس عليه على قدر أعمالهم) أي صفة مرور الناس عليه من حيث السرعة بحسب أعمالهم التي قدموها في الدنيا.

(فمنهم من يمر كلمح البصر) أي يمر سريعاً جداً، يُلمَحُ لمحة بالبصر ثم يختفي من شدة سرعته.

(ومنهم من يمر كالبرق) أي أبطأ من الذي قبله لأن مدة مشاهدة البرق أكثر من مدة لمح البصر.

(ومنهم من يمر كالريح) أي كالهواء، والمراد في شدة سرعته.

(ومنهم من يمر كالفرس الجواد) أي كالفرس الجيد.

(ومنهم من يمر كركاب الإبل) وهي دون الفرس الجواد بكثير.

(ومنهم من يعدو عدواً) أي يركض ركضاً سريعاً.

(ومنهم من يمشي مشياً) أي مشياً عادياً بلا إسراع.

(ومهم من يزحف زحفاً) أي يمشي على مقعدته بدل رجليه.

(ومنهم من يخطف خطفاً فيلقى في جهنم فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم) الخطف: هو أخذ الشيء بسرعة، يعني منهم من لا يستطيع المرور حتى بالزحف بل يؤخذ بسرعة ويلقى في جهنم.

والفاء في قوله: (**فإن الجسر**) فاء السببية، أي والسبب في ذلك أن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بسبب أعمالهم السيئة التي قدموها في الدنيا.

والكلاليب: جمع كلوب، وهي حديدة معكوفة الرأس.

(**فمن مر على الصراط دخل الجنة**) أي من انتهى من المرور على الصراط وسلِم من السقوط في جهنم فمصيره الجنة، وليس المراد أنه يدخل الجنة مباشرة لأنه بقي مشهد آخر.

(**فإذا عبروا عليه**) أي على الصراط.

(**وقفوا**) أي أمروا بالوقوف.

(**على قنطرة بين الجنة والنار**) أي على جسر صغير مكانه بين الجنة والنار.

(**فيقتص لبعضهم من بعض**) أي يأخذ المظلوم حقه من الظالم.

(**فإذا هذبوا ونقوا**) أي طُهِّروا من المظالم.

(**أذن لهم في دخول الجنة**) أي سمح لهم بالدخول.

تنبيه: هذا القصاص الذي يكون على القنطرة غير القصاص الذي يكون في الحشر، فالقصاص الذي يكون في الحشر فيه استنفاد الحسنات فتؤخذ من حسنات الظالم وتوضع في حسنات المظلوم، وأما القصاص الذي يكون على القنطرة فليس فيه استنفاد الحسنات، والمقصود منه أن الصدور تطهر من الغل فيدخلون الجنة وليس في صدر أحد غل على أحد.

(**وأول من يستفتح باب الجنة محمد ﷺ**) يستفتح: أي يطلب فتح الباب.

(**وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته**) أي بعد دخول الرسل، يعني كما أن محمداً ﷺ أول من يدخل الجنة من الرسل فأمته أول من يدخل الجنة من الأمم.

وَلَه ﷺ فِي القِيَامَةِ ثَلاَثُ شَفَاعَات:

أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُولَى: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ آدَمُ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيَشْفَعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيَشْفَعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لاَ يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا[1].

---

[1] هذا المبحث السادس: وهو بيان الشفاعات التي يقوم بها النبي ﷺ في ذلك اليوم.

(**وله ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات**) الشفاعات جمع شفاعة، ومعناها: التوسط للغير، شفع لفلان: أي توسط له، فالمعنى: أن النبي ﷺ في ذلك اليوم يتوسط للناس عند ربه تعالى ثلاث وساطات.

(**أما الشفاعة الأولى فيشفع في أهل الموقف**) أي الذين يشفع لهم النبي ﷺ بهذه الشفاعة هم جميع أهل الموقف.

(**حتى يقضي بينهم**) أي المقصود من هذه الشفاعة أن يبدأ الله تعالى بالقضاء بينهم يعني الفصل والحساب.

(**بعد أن يتراجع الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريَم عن الشفاعة حتى تنتهي إليه**) أي أن أهل الموقف يطالبون أولاً هؤلاء الأنبياء أن يشفعوا

وَيُخْرِجُ اللهُ مِن النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَة، بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ[١].

لهم، فيتراجع الأنبياء يعني يعتذرون، ثم يطلب أهل الموقف الشفاعة من محمد ﷺ فهو الذي يقوم بها.

(**وأما الشفاعة الثانية فيشفع في أهل الجنة**) أي الذين يشفع لَهم النبي ﷺ بِهذه الشفاعة هم الذين استحقوا دخول الجنة.

(**أن يدخلوا الجنة**) أي المقصود من الشفاعة لهم أن يدخلوا الجنة، وذلك لأنهم بعد الانتهاء من الوقوف على القنطرة يؤذن لهم بدخول الجنة ولكن يَجدون الأبواب مغلقة حتى يأتي النبي ﷺ فيشفع لهم، فتفتح الأبواب، ثم يدخلون.

(**وهاتان الشفاعتان خاصتان له**) أي لا يقوم بهاتين الشفاعتين غيره.

(**وأما الشفاعة الثالثة: فيشفع فيمن استحق النار**) أي الذين يشفع لهم النبي ﷺ بهذه الشفاعة هم الذين استحقوا النار، والمراد بهم: المسلمون أصحاب الكبائر.

(**وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم**) أي هذه الشفاعة عامة يقوم بها النبي ﷺ وغيره ممن هم أهل للشفاعة.

(**فيشفع فيمن استحق النار أن لا يد خلها ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها**) أي المقصود من هذه الشفاعة أن من لم يدخل النار يشفع له بأن لا يدخلها، وأن من دخلها يشفع له بأن يخرج منها.

[١] لَمَّا ذكر المؤلف أن من الشفاعة العامة أن يشفع الشافع فيمن دخل النار بأن يخرج منها ناسب أن يذكر أن الخروج من النار له سبب آخر غير الشفاعة.

(**ويخرج الله من النار أقواماً**) أي مسلمون.

وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَها مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ[١].

وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِن الحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالعِقَابِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِن السَّمَاءِ وَالآثَارِ مِن الْعِلْمِ الْمَأْثُورِ عَن الأَنْبِيَاءِ، وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي فَمَن ابْتَغَاهُ وَجَدَه[٢].

(**بغير شفاعة**) أي ليس بسبب الشفاعة.

(**بل بفضله ورحمته**) أي بل السبب هو مجرد فضل الله ورحمته من غير واسطة.

[١] لَمَّا ذكر المؤلف أن الله يخرج من النار أقواماً بغير شفاعة بل بفضله ورحمته كان من المعلوم أن هؤلاء هم آخر أهل الدنيا دخولاً الجنة، فناسب أن يذكر بعد ذلك أن دخول الجنة ليس لأهل الدنيا فقط.

(**ويبقى في الجنة فضل**) أي متسع.

(**عمن دخلها من أهل الدنيا**) أي بعد أن يدخلها سكانها من أهل الدنيا.

(**فينشئ الله لها أقواماً**) أي يخلقهم في ذلك الوقت.

(**فيدخلهم الجنة**) أي من غير عمل سابق منهم.

[٢] هذا المبحث السابع وهو بيان المصادر التي تُعرف بِها أنواع ما يجري في الدار الآخرة وتفاصيل ذلك.

(**وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار**) أصناف: أي أنواع، يعني أنواع ما يجري في الدار الآخرة.

(**وتفاصيل ذلك**) أي تفاصيل ما يجري من هذه الأنواع.

(**مذكورة في الكتب الْمُنَزَّلَة من السماء والآثار من العلم المأثور عن الأنبياء**)

أي تعرف بطريقين:

الطريق الأولى: الكتب الْمُنَزَّلَة من السماء، يعني كلام الله تعالى.

الطريق الثانية: الآثار المنقولة عن الأنبياء، يعني كلام الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

(**وفي العلم الموروث عن محمد ﷺ**) أي المنقول عنه.

(**من ذلك**) أي مما يجري في الدار الآخرة.

(**ما يَشفي ويكفي**) يَشفي: أي يُريح، ويكفي: أي يُغني عن غيره.

(**فمن ابتغاه وجده**) ابتغاه: أي أراده، والمراد به العلم المنقول عن محمد ﷺ، وجده: أي أدركه، يعني أنه قريب ليس ببعيد لأنه في الكتاب والسنة.

[الإيمانُ بالقدَرِ]

وَتُؤْمِنُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.
وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ.(١)

---

(١) لَمَّا انتهى المؤلف من التفصيل في الأصل الخامس شرع في التفصيل في الأصل السادس الذي هو الإيمان بالقدر.

فذكر فيما يتعلق بالإيمان بالقدر أمرين:

الأمر الأول: اعتقاد أهل السنة والجماعة بالقدر إجمالاً.

الأمر الثاني: اعتقاد أهل السنة والجماعة بالقدر تفصيلاً.

(وتؤمن الفرقة الناجية) أي الطائفة السالمة من النار في الآخرة.

(من أهل السنة والجماعة)

(من) هنا لبيان الجنس، أي الفرقة الناجية الذين هم أهل السنة والجماعة.

(بالقدر خيره وشره) هذا هو اعتقادهم بالقدر إجمالاً.

يعني اعتقادهم بالقدر إجمالا هو الإيمان بأن تقدير الله تعالى لِما يحدث في الكون يشمل الخير والشر.

(والإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين)

هذا هو اعتقادهم بالقدر تفصيلاً.

يعني أن اعتقادهم بالقدر تفصيلا هو أن الإيمان بالقدر ينقسم إلى درجتين يعني مرتبتين ومَنْزِلَتَين، وكل درجة لا تتحقق إلا بتحقق شيئين.

وسيذكر فيما يتعلق بالدرجة الأولى من الإيمان بالقدر ثلاثة مباحث:

فَالدَّرَجَةُ الأُولَى: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلِمَ مَا الخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ القَدِيمِ، الَّذِي هُوَ مَوصُوفٌ بِهِ أَزَلاً وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ، فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ قَالَ لَهُ: اُكْتُبْ، قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اُكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾، وقال: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[1].

المبحث الأول: بيان الشيئين اللذين تتضمنهما هذه الدرجة.

المبحث الثاني: بيان أنواع التقدير في هذه الدرجة.

المبحث الثالث: بيان المنكرين لهذه الدرجة.

[1] هذا المبحث الأول وهو بيان الشيئين اللذين تتضمنهما هذه الدرجة.

(الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم)

هذا الشيء الأول، وخلاصته: أن الله علم بالعمل قبل حدوثه.

(علم ما الخلق عاملون) أي علم بعملهم.

(بعلمه القديم) أي بعلمه السابق على العمل.

(الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً)

هذا فيه بيان نوع العلم الذي هو سبحانه موصوف به.

(أزلا) أي لا بداية له، يعني ليس جاهلا بالشيء ثم علمه.

(أبدا) أي لا نهاية له، يعني الشيء الذي علمه لا ينساه.

(وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال)

هذا فيه بيان نوع العمل الذي علمه سبحانه.

(وعلم جميع أحوالهم) أي أعمالهم.

(من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال) أي سواء ما يصدر منهم كالطاعات والمعاصي أو ما يحدث لهم كالأرزاق والآجال.

(ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق)

هذا الشيء الثاني، وخلاصته: أن الله كتب العمل قبل حدوثه.

(ثم كتب الله) أي دون وسجل.

(في اللوح المحفوظ) اللوح: هو الشيء الذي يكتب فيه، والله أعلم بنوع هذا اللوح الذي كتب الله فيه، والمحفوظ: أي المصان من التغيير.

(مقادير الخلق) أي ما قدره عليهم من الأعمال.

(فأول ما خلق الله القلم قال له: اكتب قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلي يوم القيامة) هذا فيه بيان كيفية حصول الكتابة.

فكيفية حصولها أن الله تعالى عندما أتم خلق القلم أمره أن يباشر الكتابة.

(فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ جفت الأقلام وطويت الصحف) هذا فيه بيان نتيجة حصول الكتابة.

(فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه) أي ما وقع للإنسان لا سبيل لعدم وقوعه.

وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً:
فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ.
وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَالُ لَهُ: اُكْتُبْ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، وَنَحْوَ ذَلِكَ[١].

(وما أخطأه لم يكن ليصيبه) أي ما لم يقع فيه فلا سبيل لوقوعه فيه.
(جفت الأقلام وطويت الصحف) يعني قد فُرِغَ من الكتابة فلن يقع شيء خلاف المكتوب.
(كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ **وقال:** ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾**)**
لَمَّا ذكر الشيئين اللذين تتضمنهما هذه الدرجة ذكر بعد ذلك الدليل عليهما.
فقوله في الآية الأولى: ﴿ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ دليل على العلم.
وقوله: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ ﴾ دليل على الكتابة.
وقوله في الآية الثانية: ﴿ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾ دليل على الكتابة بالمنطوق وعلى العلم بالمفهوم، فكونه كتب الشيء الذي سيقع يفهم منه أنه قد علم ما سيقع.

[١] هذا المبحث الثاني وهو بيان أنواع التقدير في هذه الدرجة.

(وهذا التقدير) أي التقدير بالكتابة.
(التابع لعلمه) أي التقدير بالكتابة تابع للعلم؛ لأنه سبحانه كتب ما سيقع وقد علم قبل ذلك ما سيقع.

فَهَذَا التَّقْدِيرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلاَةُ القَدَرِيَّةِ قَدِيمًا وَمُنْكِروهُ اليَوْمَ قَلِيلٌ[١].

(يكون في مواضع جملة وتفصيلاً) أي التقدير بالكتابة له مواضع مجموعة في نوعين:

النوع الأول: التقدير الإجمالي.

النوع الثاني: التقدير التفصيلي.

(فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء) هذا التقدير الإجمالي، وهو الكتابة في اللوح المحفوظ، وسمي بالتقدير الإجمالي لأنه شامل لكل شيء.

(وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات فيقال له: اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد) هذا التقدير التفصيلي، وهو كتابة ما يتعلق بالفرد في عمره.

وسمي بالتقدير التفصيلي لأن فيه تفصيلاً لبعض ما كُتِبَ في اللوح المحفوظ.

(ونحو ذلك) يشير المؤلف إلى أن التقدير التفصيلي أنواع.

فإذا قيل: ما هي أنواع التقدير التفصيلي؟

فالجواب: التقدير التفصيلي ثلاثة أنواع:

النوع الأول: التقدير العُمُري، وهو كتابة ما يتعلق بالفرد في عمره.

النوع الثاني: التقدير السنوي، وهو كتابة ما يتعلق بِحوادث السنة، وهذه الكتابة تكون في ليلة القدر.

النوع الثالث: التقدير اليومي، وهو كتابة ما يتعلق بحوادث اليوم.

[١] هذا المبحث الثالث وهو بيان المنكرين لهذه الدرجة.

(فهذا التقدير) أي التقدير بالكتابة التابع للعلم.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ.

وَهُوَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلاَ سُكُونٍ إِلاَّ بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، لاَ يَكُونُ فِي مُلْكِهِ إِلا مَا يُرِيدُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ إِلاَّ اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لاَ خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ[1].

(**قد كان ينكره**) أي يكذب به.

(**غلاة القدرية**) أي المبالغون في التكذيب بالقدر.

(**قديماً**) أي في وقت أواخر عصر الصحابة رضي الله عنهم.

(**ومنكروه اليوم قليل**) أي في وقت المؤلف.

وقد نص غير واحد من أهل العلم على أنهم قد انقرضوا.

[1] ذكر المؤلف فيما يتعلق بالدرجة الثانية من الإيمان بالقدر ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بيان الشيئين اللذين تتضمنهما هذه الدرجة.

المبحث الثاني: بيان هل أفعال العباد تنسب إليهم أو إلى الله؟

المبحث الثالث: بيان المنكرين لهذه الدرجة.

وبدأ بالمبحث الأول الذي هو بيان الشيئين اللذين تتضمنهما هذه الدرجة.

(**فهي مشيئة الله النافذة**) هذا الشيء الأول.

ومعنى (**النافذة**) أي الواقعة التي لا راد لها.

(**وقدرته الشاملة**) هذا الشيء الثاني.

(وقدرته) أي في الخلق والإيجاد، **(الشاملة)** أي العامة لكل شيء.

الخلاصة: أن هذه الدرجة من القدر تتضمن شيئين:

الأول: أن الله شاء كل شيء قبل حدوثه.

الثاني: أن الله خلق كل شيء كما شاءه.

(وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه ما في السماوات وما الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه لا يكون في ملكه إلا ما يريد)

هذا فيه بيان كيفية الاعتقاد بالشيء الأول.

والخلاصة: أن كيفية الاعتقاد بمشيئة الله النافذة هو بالإيمان بأن وقوع الأشياء تابع لمشيئته سبحانه، فجميع الأشياء التي تقع إنما وقعت بعد مشيئته.

ويشير المؤلف بقوله: **(ولا يكون في ملكه إلا ما يريد)** يشير إلى السبب الذي من أجله وقوع الأشياء تابع لمشيئته، وهو أن الكون ملكه فلا يقع في ملكه إلا ما يريد.

(وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه)

هذا فيه بيان كيفية الاعتقاد بالشيء الثاني.

والخلاصة: أن كيفية الاعتقاد بقدرة الله الشاملة هو بالإيمان بأنه سبحانه قدير على خلق الموجودات والمعدومات، وأن جميع الموجودات هو خالقها وحده.

ويشير بقوله: **(من الموجودات والمعدومات)** يشير إلى أن الموجودات خلقها بقدرته، وأن المعدومات أي الأشياء التي لم توجد قدير على خلقها، وليس السبب في عدم خلقها أنه لا يقدر على خلقها بل السبب أنه لم يشأ خلقها.

وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَمَرَ العِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلاَ يُحِبُّ الكَافِرِينَ وَلاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الفَاسِقِينَ، وَلاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ وَلاَ يُحِبُّ الفَسَادَ[1].

---

[1] لَمَّا ذكر المؤلف الشيئين اللذين تتضمنهما هذه الدرجة من القدر وكيفية الاعتقاد بها ناسب أن يذكر الفرق بين القدر والشرع من حيث المحبة.

(ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته)

أي مع كون الله تعالى قدر أفعال العباد من الطاعات والمعاصي فقد أمرهم بالطاعات ونهاهم عن المعاصي.

(وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يحب الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين) أي أن الله تعالى يحب من امتثل الشرع ويرضى عنه، ولا يحب من خالف الشرع ولا يرضى عنه.

(ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد) أي أن الله تعالى لا يحب الأفعال التي نهى عنها ولا يرضاها، ويُفهم من ذلك أنه يحب الأفعال التي أمر بها ويرضاها.

تنبيه: الفرق بين هذه الجملة والتي قبلها أن التي قبلها تتعلق بالذين فعلوا الأفعال وأن هذه الجملة تتعلق بنفس الأفعال.

الخلاصة: أن القدر يشمل ما يُحبه الله تعالى وما لا يُحبه، وأن الشرع يختص بما يحبه، فالطاعات يحبها الله تعالى، والمعاصي لا يحبها، وكلها مقدرة.

وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِمْ، وَالْعَبْدُ هُوَ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ وَالْمُصَلِّي وَالصَّائِمُ، وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وإِرَادَتِهِمْ وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩ ﴾[1].

---

[1] هذا المبحث الثاني وهو بيان هل أفعال العباد تنسب إليهم أو إلى الله؟

(**والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم**) أي أفعال العباد:

من جهة الفعل تنسب إليهم فهم الفاعلون لأفعالهم حقيقة.

ومن جهة الخلق تنسب إلى الله فهو خالق أفعالهم.

(**والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلى والصائم**) أي العبد هو الذي يوصف بالفعل الذي صدر منه فمن آمن فهو المؤمن ومن كفر فهو الكافر.

(**وللعباد قدرة على أعمالهم وإرادقم**) أي العباد لهم قدرة على الأمرين:

الأول: الأعمال، فلهم قدرة على صدور الأعمال منهم.

الثاني: الإرادة، فلهم قدرة على إرادة ما سيعملون.

يشير المؤلف إلى أن السبب في أن الأفعال تنسب إلى العباد حقيقة كونها صدرت منهم عن قدرة على الأعمال والإرادة.

(**والله خالقهم وخالق قدرتِهم وإرادتِهم**) أي الله خالق العباد أنفسهم، وخالق قدرقم على الأعمال وإرادقم لها.

يشير المؤلف إلى أن السبب في أن أفعال العباد تنسب إلى الله من جهة الخلق كونه تعالى هو خالقهم وخالق قدرقم وإرادقم.

وهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِن القَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ القَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُم النَّبي ﷺ: "مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ"، وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ حَتَّى سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا[1].

(**كما قال تعالى:** ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ . وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾) لَمَّا ذكر المؤلف أن العباد هم الفاعلون لأفعالهم حقيقة وأن الله خالق أفعالهم وأشار إلى السبب، ذكر بعد ذلك الدليل.

فقوله: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ ﴾ فيه إثبات القدرة على المشيئة للعباد.

وقوله: ﴿ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ فيه إثبات القدرة لهم على العمل لأن الاستقامة عمل.

وقوله: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فيه إثبات أن هذه المشيئة تابعة لمشيئة الله.

فإثبات القدرة للعباد على المشيئة والعمل يدل على أنهم هم الفاعلون لأفعالهم حقيقة، وإثبات أن مشيئة العباد تابعة لمشيئة الله سبحانه يدل على أن الله هو خالق أفعالهم.

الخلاصة: أن أفعال العباد من جهة الفعل تنسب إليهم فهم الفاعلون لها حقيقة، ومن جهة الخلق تنسب إلى الله فهو خالقها.

[1] هذا المبحث الثالث وهو بيان المنكرين لهذه الدرجة.

(**وهذه الدرجة من القدر**) أي المتضمنة للمشيئة والخلق.

(**يكذب بها عامة القدرية**) أي جميعهم.

يعني يقولون: إن الله لم يشأ و لم يخلق أفعال العباد.

(**الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة**) سبب هذه التسمية: أن اعتقادهم مشابه

لاعتقاد المجوس، لأن المجوس يعتقدون أن للحوادث خالقين النور والظلام؛ فالنور خالق الخير والظلام خالق الشر، والقدرية يعتقدون أن للحوادث خالقين الله والعباد فالله خالق الحوادث التي تكون في الكون والعباد خالقوا الحوادث التي يفعلونها.

الخلاصة: أن القدرية ينسبون أفعال العباد إليهم من جهة الخلق ومن جهة الفعل، فيقولون: إن العباد خلقوا أفعالهم وفعلوا أفعالهم حقيقة.

(ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات) أي يبالغون في إثبات هذه الدرجة من القدر.

والمراد بهم الجبرية.

يعني يثبتون أن الله شاء وخلق أفعال العباد ولكنهم يبالغون في هذا الإثبات.

(حتى سلبوا العبد قدرته واختياره) أي وجه المبالغة في هذا الإثبات أنهم نفوا عن العبد قدرته واختياره لما يفعل.

يعني يقولون: إن العبد مجبور على فعله، أي يصدر منه الفعل بلا قدرة ولا اختيار.

(ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها) أي مذهب هؤلاء يلزم منه نفي الحِكَمِ والْمَصالِح عن أفعال الله وأحكامه، وجه ذلك: أنه إذا كان العبد ليس له قدرة ولا اختيار على ما يفعل فلا حكمة ولا مصلحة من الأوامر والنواهي ومن الثواب والعقاب.

الخلاصة: أن الجبرية ينسبون أفعال العباد إلى الله من جهة الخلق ومن جهة الفعل، فيقولون: إن الله خلق أفعال العباد وفعل أفعالهم حقيقة.

[الدِّينُ والإيمانُ ووعيدُ اللهِ]

فصل: وَمِنْ أُصُولِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ:[١]

أَنَّ الدِّينَ وَالإِيْمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ[٢].

---

(١) لَمَّا انتهى المؤلف من الكلام عن بعض الأصول الستة شرع في الكلام عن بعض الأصول المتفرعة عن الأصول الستة.

(ومن أصول الفرقة الناجية)

(من) بمعنى بعض، أي بعض أصول الفرقة الناجية.

والمراد بالأصول هنا الأصول المتفرعة عن الأصول الستة.

فإذا قيل: ما هو الأصل الذي سيبدأ المؤلف بالكلام عنه؟

فالجواب: سيبدأ بالكلام عن أصلين باب الدين والإيمان وباب وعيد الله.

وسيذكر فيما يتعلق بهذين البابين ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة فيما يتضمنه اسما الدين والإيمان.

المبحث الثاني: بيان اعتقادهم في زيادة الإيمان ونقصانه.

البحث الثالث: بيان اعتقادهم في حكم الفاسق في الدنيا والآخرة.

(٢) هذا المبحث الأول وهو بيان اعتقادهم فيما يتضمنه اسما الدين والإيمان.

(أن الدين والإيمان قول وعمل) المراد بالدين الإسلام، يعني أن اسم الإسلام يتضمن القول والعمل، وكذلك اسم الإيمان يتضمن القول والعمل.

(قول القلب واللسان) أي القول الذي يدخل في اسمي الإسلام والإيمان يتضمن شيئين:

الأول: قول القلب، والمراد به التصديق.

وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ[١].

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لاَ يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ، كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ، بَل الأُخُوَّةُ الإِيْمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي آيَةِ الْقِصَاصِ: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾، **وَقَالَ:** ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ ﴾[٢].

الثاني: قول اللسان، والمراد به التلفظ بالتصديق؛ الذي هو الشهادتان.

(وعمل القلب واللسان والجوارح) أي أن العمل الذي يدخل في اسمي الإسلام والإيمان يتضمن ثلاثة أشياء:

الأول: عمل القلب، وذلك كالنية والمحبة والخوف والرجاء.

الثاني: عمل اللسان، وذلك كالذكر والتلاوة والدعاء.

الثالث: عمل الجوارح، وذلك كالصلاة والحج والجهاد.

[١] هذا المبحث الثاني وهو بيان اعتقادهم في زيادة الإيمان ونقصانه.

الباء في قوله: **(بالطاعة)** وكذلك في قوله: **(بالمعصية)** باء السببية، يعني أن الإيمان يزيد بسبب فعل الطاعة وينقص بسبب فعل المعصية.

[٢] هذا المبحث الثالث وهو بيان اعتقادهم في حكم الفاسق في الدنيا والآخرة.

وذكر المؤلف فيما يتعلق بحكم الفاسق في الدنيا مسألتين:

المسألة الأولى: هل يقولون: إنه كافر؟

المسألة الثانية: هل يقولون: إنه ليس بمؤمن؟

وبدأ بالمسألة الأولى التي هي هل يقولون إن الفاسق كافر؟

(وهم مع ذلك) أي مع كونهم يقولون: إن الإسلام قول وعمل.

(لا يكفرون أهل القبلة) أهل القبلة المراد بهم المسلمون، أي لا يقولون إن المسلمين كفار.

(بمطلق المعاصي والكبائر) الباء باء السببية، أي لا يقولون إنهم كفار بسبب فعلهم أي معصية وكبيرة.

(كما يفعله الخوارج) أي أن الخوارج يكفرون بمطلق المعاصي والكبائر.

مراد المؤلف: أن أهل السنة والجماعة مع كونهم يقولون إن الإسلام قول وعمل، فإنهم لا يقولون إن المسلم إذا قصَّر في العمل فصدر منه أي معصية وكبيرة أنه كافر.

ويشير المؤلف بقوله: **(بمطلق المعاصي والكبائر)** يشير إلى أن المعاصي والكبائر نوعان: مكفرة وغير مكفرة، فالخوارج يكفرون بمطلق المعاصي والكبائر يعني لا يفرقون بين المكفرة وغير المكفرة، وأهل السنة والجماعة لا يكفرون بمطلق المعاصي والكبائر يعني يفرقون بين المكفرة وغير المكفرة؛ فيكفرون من فعل كبيرة مكفرة ولا يكفرون من فعل كبيرة غير مكفرة.

الخلاصة: أن أهل السنة والجماعة يقولون: إن الفاسق ليس بكافر.

تنبيه: تقدم أن الخوارج والمعتزلة متفقون على أن الفاسق ليس بمسلم، ولكن اختلفوا هل هو كافر أو لا؟ فقالت الخوارج: كافر، وقالت المعتزلة: ليس بمسلم ولا كافر بل هو في مَنْزِلَة بين الْمَنْزِلتين، وذكر المؤلف في هذا الموضع الخوارج دون المعتزلة

لأن الكلام هاهنا عمن قال: إن الفاسق كافر؛ والمعتزلة لم تقل ذلك.

(**بل الأخوة الإيمانية**) أي بين المسلمين.

(**ثابتة**) أي باقية، (**مع المعاصي**) أي مع صدور المعاصي منهم.

يشير إلى أن السبب في عدم القول بأن المسلمين كفار بمطلق المعاصي والكبائر هو أنهم لا يزالون إخوة في الإيمان مع صدور المعاصي منهم، يعني إذا كان الفاسق لا يزال أخاً لنا في الإيمان فهذا مانع من الحكم عليه بالكفر.

(**كما قال سبحانه في آية القصاص**: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ **وقال**: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ ﴾) لَمَّا أشار المؤلف إلى أن السبب في عدم القول بأن المسلمين كفار بمطلق المعاصي والكبائر هو أنهم لا يزالون إخوة في الإيمان مع صدور المعاصي منهم، ذكر بعد ذلك الدليل على أن الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي.

فقوله: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ في هذه الآية أثبت الله تعالى الأخوة الإيمانية بين القاتل والمقتول مع أن القتل معصية.

وقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ ﴾ في هذه الآية أثبت الله تعالى الأخوة الإيمانية بين الطائفتين المقتتلتين، وأثبت أيضاً هذه الأخوة بين هاتين الطائفتين وبين المصلحين.

وَلاَ يَسْلِبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمَ الإِيْمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلاَ يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ، كَمَا تَقُولُهُ الْمُعتَزِلَةُ، بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾، وَقَدْ لا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيْمَانِ الْمُطْلَقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾، وَقَوْلُهُ ﷺ: "لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وهو مؤمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُها وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ"، وَنَقُولُ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيْمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيْمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلاَ يُعْطَى الاسْمَ الْمُطْلَقَ، وَلاَ يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ[1].

---

[1] هذه المسألة الثانية وهي هل يقولون: إن الفاسق ليس بمؤمن؟

وأدرج في هذه المسألة حكم الفاسق في الآخرة.

(**ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية**) الفاسق الملي المراد به: الفاسق الذي لا يزال على ملة الإسلام وذلك لكونه فعل كبيرة لكن غير مكفرة.

(**لا يسلبون**) أي لا ينفون عنه.

(**اسم الإيمان بالكلية**) أي يقولون: إنه ليس بمؤمن؛ لكن لا يريدون بذلك النفي الكلي للإيمان.

مراد المؤلف: أن أهل السنة والجماعة مع كونهم يقولون إن الإيمان قول وعمل، فإنهم لا يقولون إن المسلم إذا قصر في العمل فصدرت منه معصية غير مكفرة أنه ليس بمؤمن كلياً.

(ولا يخلدونه في النار) أي لا يقولون: إن الفاسق في الآخرة مخلد في النار.

مراد المؤلف: أن أهل السنة والجماعة لكونهم لا ينفون عن الفاسق اسم الإيمان بالكلية فيلزم من ذلك أنهم لا يخلدونه في النار.

(كما تقوله المعتزلة) أي المعتزلة يقولون: إن الفاسق مخلد في النار.

تنبيه: الخوارج والمعتزلة كلاهما يقولان: إن الفاسق مخلد في النار، ولم يذكر المؤلف الخوارج هنا لأنه ذكر من قبل أن الخوارج يكفرون الفاسق فيُفهم من ذلك أنَّهم يحكمون عليه بالخلود في النار، ولهذا لم يذكرهم هنا.

(بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان .... إلخ) لَمَّا ذكر أن أهل السنة والجماعة ينفون عن الفاسق اسم الإيمان لكن لا ينفون عنه اسم الإيمان بالكلية، ذكر بعد ذلك السبب.

(بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان) أي الفاسق يسمى مؤمناً.

يعني في الكتاب والسنة.

(كما في قوله: ﴿ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ ﴾) أي هذه الآية دلت على أن الفاسق يسمى مؤمناً، ووجه الدلالة: أن المراد بالرقبة المؤمنة هنا بالإجماع هو العبد المسلم مطيعاً كان أو فاسقاً.

(وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق) أي وقد لا يسمى الفاسق مؤمناً.

(كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾ **وقوله ﷺ: "لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن"** .... إلخ) أي الآية والحديث دلا على أن الفاسق قد لا يسمى مؤمناً.

فأما الآية فوجه الدلالة فيها: أن الله تعالى حصر صفات أهل الإيمان بصفات معينة، وهذا يدل على أن من لم يتصف بهذه الصفات فليس بمؤمن، فالمسلم الذي لا يجل قلبه إذا ذكر الله ليس بمؤمن مع كونه مسلماً، فخلاصة المراد من هذه الآية أن المسلم قد لا يسمى مؤمناً.

وأما الحديث فوجه الدلالة فيه: أن النبي ﷺ أخبر عن الفاسق كالزاني والسارق وشارب الخمر والمنتهب أنه ليس مؤمناً.

(**ويقولون: هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم**) أي نتيجة لكون الفاسق في الكتاب والسنة يسمى مؤمناً وقد لا يسمى مؤمناً، فأهل السنة والجماعة يعبرون عنه بأحد تعبيرين:

التعبير الأول: (**مؤمن ناقص الإيمان**) فقولهم: (**مؤمن**) فيه إثبات أصل الإيمان له، وقولهم: (**ناقص الإيمان**) فيه نفي كمال الإيمان عنه.

التعبير الثاني: (**مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته**) (**مؤمن بإيمانه**) أي مؤمن بسبب ما عنده من الإيمان (**فاسق بكبيرته**) أي فاسق بسبب ما عنده من الكبائر.

(**فلا يعطى الاسم المطلق**) أي لا يثبت له اسم الإيمان بالإطلاق، يعني لا يقال: هو مؤمن؛ هكذا بالإطلاق من غير تقييد، والسبب أن اسم "مؤمن" بالإطلاق يراد به كامل الإيمان، والفاسق ليس كامل الإيمان.

(**ولا يسلب مطلق الاسم**) أي لا ينفى عنه جميع الاسم، يعني لا يقال: ليس بمؤمن كلياً، لأن نفي الإيمان بالكلية إنما يكون للكافر، والفاسق ليس بكافر.

[أَصْحَابُ النَّبِي ﷺ]

فَصْلٌ: وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:(١)

---

(١) لَمَّا انتهى المؤلف من الكلام عن أصلين من الأصول المتفرعة عن الأصول الستة شرع في الكلام عن أصل آخر.

فإذا قيل: ما هو الأصل الذي سيتكلم عنه المؤلف هنا؟

فالجواب: سيتكلم عن باب أصحاب النبي ﷺ.

وسيذكر فيما يتعلق بهذا الباب ثمانية مباحث:

المبحث الأول: بيان موقف أهل السنة والجماعة من بغض وسب الصحابة رضي الله عنهم.

المبحث الثاني: بيان موقفهم من فضائل ومراتب الصحابة.

المبحث الثالث: بيان موقفهم من الشهادة بالجنة للصحابة.

المبحث الرابع: بيان موقفهم من الخلفاء الأربعة؛ من حيث التفضيل ومن حيث الخلافة.

المبحث الخامس: بيان موقفهم من أهل البيت.

المبحث السادس: بيان موقفهم من أزواج النبي ﷺ.

المبحث السابع: بيان موقفهم من طريقة الروافض مع الصحابة، ومن طريقة النواصب مع أهل البيت.

المبحث الثامن: بيان موقفهم عما شجر بين الصحابة.

سَلاَمَةُ قُلُوبِهِم وَأَلْسِنَتِهِم لأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ كَمَا وَصَفَهُم اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾، **وَطَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: "لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْل أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ"**[١].

---

[١] هذا المبحث الأول وهو بيان موقفهم من بغض وسب الصحابة.

(**سلامة قلوبهم**) أي من البغض.

(**وألسنتهم**) أي من السب.

(**كما وصفهم الله به**) أي كما وصف الله أهل السنة بهذا الموقف.

(**في قوله تعالى:** ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو ﴾) المراد هم التابعون بإحسان، (﴿ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾) أي بعد الصحابة، (﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾) فيه سلامة ألسنتهم للصحابة حيث إنهم يدعون لهم لا يسبونهم، (﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾) فيه سلامة قلوبهم من الغل؛ يعني البغض للمؤمنين، ويدخل في ذلك الصحابة من باب أولى لأنهم خير المؤمنين.

مسألة: لماذا ذكر المؤلف أن الله وصف أهل السنة بهذا الوصف مع أن الله تعالى إنما وصف به الذين اتبعوا الصحابة بإحسان؟

الجواب: لأن أهل السنة هم الذين اتبعوا الصحابة بإحسان.

(**وطاعة النبي ﷺ في قوله**) أي بموقفهم هذا حققوا طاعة الرسول ﷺ في قوله

وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ(١).

الذي قاله في هذا الحديث.

(لا تسبوا أصحابي) فيه النهي عن سب الصحابة بالمنطوق وعن بغضهم بالمفهوم لأن السب إنما يكون عن بغض.

تنبيه: هذا النهي من النبي ﷺ كان موجهاً لبعض الصحابة الذين تأخر إسلامهم، ولكن يوجه لغير الصحابة من باب أولى.

(١) هذا المبحث الثاني وهو بيان موقفهم من فضائل ومراتب الصحابة.

(ويقبلون) أي لا يردون.

(ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع) أي ما دلت عليه هذه الأدلة.

(من فضائلهم ومراتبهم) أي فيما يتعلق بفضائل ومراتب الصحابة.

والفضائل: جمع فضيلة، وهي الخصلة الحميدة التي يفضل بها صاحبها على غيره.

والمراتب: جمع مرتبة، وهي الْمَنْزِلة التي يعلو بها صاحبها على غيره، فالمعنى بين اللفظين متقارب.

وسيذكر المؤلف فيما يتعلق بالتفضيل بين الصحابة أربعة أنواع:

النوع الأول: التفضيل بينهم من حيث زمن الإنفاق والمقاتلة.

النوع الثاني: التفضيل بينهم من حيث الهجرة والنصرة.

النوع الثالث: التفضيل بينهم من حيث المشاركة في غزوة بدر.

النوع الرابع: التفضيل بينهم من حيث البيعة تحت الشجرة.

وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ - وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ - وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ[١].

وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ[٢].

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ - وَكَانُوا ثَلاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ -: "اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"[٣].

---

[١] هذا النوع الأول، وهو التفضيل بينهم من حيث زمن الإنفاق والمقاتلة.

(**ويفضلون من أنفق**) أي من ماله.

(**من قبل الفتح**) أي قبل زمن الفتح.

(**وهو صلح الحديبية**) هذا تفسير للمراد بالفتح، والمراد بصلح الحديبية الصلح الذي تم بين النبي ﷺ وأصحابه وبين المشركين في مكان يسمى الحديبية.

(**وقاتل**) أي بنفسه.

(**على من أنفق من بعد وقاتل**) أي بعد الفتح.

[٢] هذا النوع الثاني، وهو التفضيل بينهم من حيث الهجرة والنصرة.

(**ويقدمون المهاجرين**) المراد بهم الذين تركوا بلدهم مكة وانتقلوا مع النبي ﷺ إلى المدينة.

(**على الأنصار**) المراد بهم الذين ناصروا النبي ﷺ ومن هاجر معه في بلدهم المدينة، وهم الأوس والخزرج.

[٣] هذا النوع الثالث، وهو التفضيل بينهم من حيث المشاركة في غزوة بدر.

(**ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر**) أي للصحابة الذين شاركوا في غزوة بدر.

وَبِأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبيُّ ﷺ، بَلْ قَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ[١].

وَيَشْهَدُونَ بِالجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَالْعَشَرَةِ، وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِمْ مِن الصَّحَابَةِ[٢].

(**وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر**) أي عددهم في تلك الغزوة.

(**اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**) أي مهما عملتم فقد غفرت لكم.

تنبيه: لا يستفاد من هذا القول إباحة ارتكاب المحرمات إنما يستفاد منه البشارة بحسن الخاتمة بحيث لو صدر منهم محرم سيوفقون إلى اتخاذ أسباب المغفرة.

[١] هذا النوع الرابع، وهو التفضيل بينهم من حيث البيعة تحت الشجرة.

(**وبأنه**) أي ويؤمنون بأنه.

(**لا يدخل النار**) أي لا مؤبداً ولا مؤقتاً.

(**أحد بايع تَحت الشجرة**) أي شارك في البيعة التي تَمَّت تَحت الشجرة، والتي تسمى بيعة الرضوان.

(**كما أخبر به النبي ﷺ**) أي بعدم دخوله النار.

(**بل قد رضي الله عنهم**) أي بسبب هذه البيعة.

(**ورضوا عنه**) أي بما أعطاهم من الفضل والثواب.

(**وكانوا أكثر من ألف وأربع مائة**) أي عددهم في تلك البيعة.

[٢] هذا المبحث الثالث وهو بيان موقفهم من الشهادة بالجنة للصحابة.

(**ويشهدون بالجنة**) أي بدخولها.

وَيُقِرُّونَ بما تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ وَغَيْرِهِ؛ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ ﷺ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ.

مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَد اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيْم أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ وَسَكَتُوا أو رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّم قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا، لَكِن اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ ثُمَّ عَلِيٍّ.

(**لمن شهد له رسول الله ﷺ**) أي شهد له بعينه.

(**كالعشرة**) أي العشرة المبشرون بالجنة، وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير ابن العوام وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن ابن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح.

مسألة: لماذا سمي هؤلاء بالعشرة المبشرين بالجنة؟

الجواب: لأن النبي ﷺ ذكرهم في مجلس واحد بشرهم فيه بالجنة.

(**وثابت بن قيس بن شمسان وغيرهم من الصحابة**) أي ممن شهد له النبي ﷺ بذلك.

تنبيه: الشهادة للصحابة بالجنة نوعان:

النوع الأول: شهادة عامة، فأهل السنة يشهدون بالجنة لعموم الصحابة.

النوع الثاني: شهادة خاصة، فأهل السنة يشهدون بالجنة لبعض الصحابة بأعيانهم الذين شهد لهم النبي ﷺ بذلك.

وكلام المؤلف في هذا المبحث يتعلق بالنوع الثاني.

وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - لَيْسَتْ مِن الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ.

لَكِنَّ المَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيها الْمُخَالِفُ الْخِلاَفَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ، وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلاَفَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلاَءِ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ[1].

---

[1] هذا المبحث الرابع وهو بيان موقفهم من الخلفاء الأربعة؛ من حيث التفضيل، ومن حيث الخلافة.

(ويقرون) أي يعترفون.

(بما تواتر به النقل) أي بالخبر الذي نُقل بالتواتر، وهو الذي نقله جمع عن جمع.

(عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره) أي الخبر نُقل عن علي وعن غيره من الصحابة.

(من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر) هذا هو الخبر.

(ويثلثون بعثمان) أي يجعلونه في المرتبة الثالثة.

(ويربعون بعلي) أي يجعلونه في المرتبة الرابعة.

(كما دلت عليه) أي على التثليث بعثمان والتربيع بعلي.

(الآثار وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة) يعني أن الأخبار المنقولة عن النبي ﷺ تدل على أن عثمان أفضل من علي، وكذلك إجماع الصحابة على تقديم عثمان على علي في البيعة بالخلافة يدل على أنه أفضل منه.

(مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما بعد

اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر أيهما أفضل) يعني أن أهل السنة لم يختلفوا في تقديم أبي بكر وعمر، إنما اختلف بعض أهل السنة لا كلهم قديماً في عثمان وعلي فقط، واختلاف هؤلاء من حيث الأفضلية فقط.

(فقدم قوم عثمان وسكتوا أو ربعوا بعلي، وقدم قوم علياً، وقوم توقفوا)

أي كيفية الاختلاف في عثمان وعلي هو أنهم انقسموا على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قدموا عثمان، وهؤلاء صنفان، صنف سكتوا يعني لم يعينوا رابعاً، وصنف ربعوا بعلي.

القسم الثاني: قدموا علياً، أي جعلوه الثالث وعثمان الرابع.

القسم الثالث: توقفوا، أي لم يفضلوا بين عثمان وعلي.

(لكن استقر أمر أهل السنة) أي بعد هذا الاختلاف.

(على تقديم عثمان ثم علي) أي على الاتفاق بالتثليث بعثمان والتربيع بعلي.

(وإن كانت هذه المسألة مسألة عثمان وعلي) أي من حيث التفضيل بينهما.

(ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة) أي لا يقال لمن خالف في ذلك إنه ضال.

ويشير إلى أن السبب في عدم التضليل هو وجود الخلاف بين أهل السنة.

(لكن المسألة التي يضلل فيها المخالف الخلافة) أي المسألة التي يقال فيها لمن خالف إنه ضال هي مسألة الخلافة.

(وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي) مراد المؤلف: أن السبب في تضليل المخالف في مسألة الخلافة هو اتفاق

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَتَوَلَّوْنَهم، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: "أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي"، وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ - وَقَد اشْتَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ - فَقَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي"، وَقَالَ: "إِنَّ اللهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ"[1].

أهل السنة في هذه المسألة.

(ومن طعن) أي قدح.

(في خلافة أحد هؤلاء) أي كأن يقول: خلافة أحد هؤلاء باطلة، أو يقول: أحد هؤلاء أحق أن يقدم على من قُدِّم عليه.

(فهو أضل من حمار أهله) أي حكمه: أنه ضال.

[1] هذا المبحث الخامس وهو بيان موقفهم من أهل البيت.

(ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ) أي قرابته.

(ويتولوهم) أي يحبوهم، مِن الوَلاية بفتح الواو وهي المحبة.

مراد المؤلف: أن لأهل البيت حقاً ليس لغيرهم، وهو محبتهم محبة زائدة.

(ويحفظون) أي يصونون.

(فيهم) أي في أهل البيت.

(وصية رسول الله ﷺ) أي ما أوصى به أمته في شأن أهل البيت.

وحفظ الوصية معناه: تنفيذ محتواها.

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ، خُصُوصًا خَدِيْجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أُمُّ أَكْثَرِ أَوْلاَدِهِ وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ وَكَانَ لَهَا مِنْه الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ، وَالصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ رَضِي

(**حيث قال يوم غدير خم**) أي يوم وصل مع أصحابه إلى الغدير الذي يسمى خما وذلك عند عودته من حجة الوداع.

(**أذكركم الله في أهل بيتي**) أي أذكركم ما أمر الله به في حق أهل البيت.

الشاهد من الحديث: أن النبي ﷺ أثبت لأهل البيت حقاً ليس لغيرهم.

(**وقال أيضاً للعباس عمه وقد اشتكى إليه**) أي أخبره بما يكره.

(**إن بعض قريش يجفو بني هاشم**) أي يتعامل معهم بالجفاء يعني الغلظة.

(**فقال لا يؤمنون حتى يحبوكم للّه ولقرابتي**) أي لا يكمل إيمانهم حتى يُحبوكم لأمرين:

الأول: لله، يعني لكونكم مؤمنين.

الثاني: لقرابتي، يعني لقرابتكم مني.

الشاهد من الحديث أن النبي ﷺ بيَّن ما هو حق أهل البيت، وسبب هذا الحق.

فأما حقهم فهو محبتهم محبة زائدة، وأما السبب فلأنه اجتمع فيهم أمران يوجبان ذلك: الإيمان والقرابة من النبي ﷺ.

(**وقال: "إن الله اصطفى بني إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم"**)

الشاهد من الحديث: أن النبي ﷺ أثبت أن أهل البيت هم بنو هاشم لقرابتهم منه.

الله عَنْهُما الَّتِي قَالَ فِيها النَّبِيُّ ﷺ: "فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ"[1].

---

[1] هذا المبحث السادس وهو بيان موقفهم من أزواج النبي ﷺ.

(ويتولون) أي يحبون.

(أزواج رسول الله ﷺ) أي جميع زوجاته.

(أمهات المؤمنين) أي أمهاتهم في المقام لا في النسب، فيحبونَهن كمحبة الأم من النسب؛ المحبة التي توجب الاحترام والإكرام.

(ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة) أي كما أنهن أزواجه في الدنيا.

مراد المؤلف: أن لأزواج النبي ﷺ حقاً ليس لغيرهن، وهو محبتهن محبة زائدة على غيرهن.

والسبب أنه اجتمع فيهن ثلاثة أمور توجب ذلك:

الأول: الإيمان.

الثاني: صلتهن بالنبي ﷺ لكونهن زوجاته في الدنيا والآخرة.

الثالث: أنهن أمهات المؤمنين.

(وخصوصاً خديجة رضي الله عنها) أي يُحبون جميع أزواج النبي ﷺ وخصوصاً خديجة.

(أم أكثر أولاده وأول من آمن به وعاضده على أمره؛ وكان لَها منه الْمَنْزِلة العالية) أي السبب في تخصيص خديجة بالمحبة أنها تميزت بأمور، منها:

الأول: **(أم أكثر أولاده)** فكل أولاده من خديجة ماعدا إبراهيم فمن مارية.

وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ، وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ وعَمَلٍ[1].

الثاني: (**وأول من آمن به**) أي على أنه رسول؛ (**وعاضده على أمره**) أي أعانه على أعباء الرسالة وذلك بالمال والتشجيع وتحمل الأذى معه.

الثالث: (**وكان لها منه الْمَنْزِلة العالية**) أي كان لها في نفسه المكانة الرفيعة.

(**والصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما**) أي يُحبون جميع أزواج النبي ﷺ؛ وخصوصاً خديجة وعائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهم.

(**التي قال فيها النبي ﷺ: "فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"**) أي السبب في تخصيص عائشة بالمحبة أنها تميزت بأمور، منها: أن النبي ﷺ نص على أنها أفضل النساء.

فائدة: عدد أزواج النبي ﷺ إحدا عشر، اثنتان توفيتا قبله وهما خديجة وزينب بنت خزيمة الهلالية، وتسع توفين بعده وهن عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وجويرية وزينب بنت جحش وسودة وصفية وميمونة وأم حبيبة وأم سلمة.

فائدة أخرى: عدد أولاد النبي ﷺ سبعة، ثلاثة بنين وأربع بنات، أما البنون فهم القاسم وعبد الله وإبراهيم، وأما البنات فهن رقية وزينب وأم كلثوم، وكلهم ماتوا قبله إلا فاطمة فإنها ماتت بعده.

مسألة: أيهما أفضل خديجة أم عائشة؟

الجواب: هذه المسألة فيها خلاف، وظاهر تصرف المؤلف التوقف.

[1] هذا المبحث السابع وهو بيان موقفهم من طريقة الروافض مع الصحابة؛ ومن

وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ[١].

طريقة النواصب مع أهل البيت.

(ويتبرءون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبوهم) المراد يبغضون ويسبون أكثر الصحابة.

مسألة: لماذا الروافض يبغضون ويسبون أكثر الصحابة؟

الجواب: لأهم يزعمون أن ذلك دليل على ولائهم لأهل البيت.

(وطريقة النواصب) أي ويتبرءون من طريقة النواصب.

(الذين يؤذون أهل البيت) أي يعتدون عليهم.

(بقول وعمل) **(قول)** مثل السب، و**(عمل)** مثل القتل.

مسألة: لماذا هؤلاء نصبوا العداء لأهل البيت؟

الجواب: لأغراض سياسية في ذلك الوقت، ولهذا ليس لهم وجود الآن.

تنبيه: لم يذكر المؤلف موقف الخوارج مع الصحابة، مع أهم يبغضون الصحابة ويكفروهم، والسبب في عدم ذكره إياهم أن بغضهم وتكفيرهم للصحابة مبني على أن الصحابة فعلوا كبائر، فأصل مذهبهم هو التكفير بالكبيرة فاكتفى المؤلف بذكرهم في الموضع اللائق بهم وهو باب الدين والإيمان.

[١] هذا المبحث الثامن وهو بيان موقفهم عما شجر بين الصحابة.

(ويمسكون) أي يسكتون ولا يتكلمون.

(عما شجر بين الصحابة) أي عما وقع بينهم من الشجار يعني الاختلاف.

فالصحابة رضي الله عنهم وقع بينهم اختلاف بعد مقتل عمر بن الخطاب، واشتد

وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ؛ إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ[1].

بعد مقتل عثمان بن عفان، حتى وصل إلى حد القتال.

مسألة: ما هو السبب في الإمساك عما شجر بين الصحابة؟

الجواب: لأن الكلام عما شجر بينهم وسيلة لبغضهم وسبهم، وبغضهم وسبهم محرم.

[1] لَمَّا ذكر المؤلف موقف أهل السنة والجماعة عما شجر بين الصحابة؛ ناسب أن يذكر موقفهم من الآثار المروية في مساويهم.

(**ويقولون**) أي أهل السنة والجماعة.

(**إن هذه الآثار**) أي الأخبار.

(**المروية**) أي المنقولة.

(**في مساويهم**) أي في الأعمال التي ظاهرها سوء منهم.

والمراد ما وقع بينهم من اختلاف.

(**منها ما هو كذب**) هذا هو القسم الأول.

(**منها**) أي من هذه الأخبار.

(**ما هو كذب**) أي ليس بصحيح، بل هو من صنع الراوي.

(**ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه**) هذا هو القسم الثاني.

(**ومنها**) أي من هذه الأخبار.

(ما قد زيد فيه ونقص) أي أصله صحيح ولكن الراوي قد زاد فيه ونقص.

(وغير عن وجهه) أي بسبب الزيادة والنقصان تغير فخرج عن معناه الصحيح.

(والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون) هذا هو القسم الثالث.

(والصحيح منه) أي وما صح من الخبر في مساويهم.

(هم) أي الصحابة.

(فيه) أي فيما صح من هذا الخبر.

(معذورون) أي لا يعاقبون.

(إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون) أي السبب في أنهم معذورون هو أنهم مجتهدون يعني قصدوا الحق، والمجتهد الذي يقصد الحق قد يصيب وقد يخطئ.

الخلاصة: أن الأخبار التي تنقل في مساوئ الصحابة ثلاثة أقسام:

الأول: الخبر المكذوب.

الثاني: الخبر المحرف، وهذان حكمهما الرد.

الثالث: الخبر الصحيح، وهذا حكمه القبول، لكن الموقف من نفس المخبر عنهم أعني الصحابة هو اعتقاد أنهم معذورون والسبب أن مساوئهم واقعة عن اجتهاد منهم.

مسألة: لماذا يقال إن ما صح من مساوئ الصحابة واقعة عن اجتهاد منهم؟

الجواب: لأنه تعارض لدينا يقين واحتمال، أما اليقين فهو أن الصحابة خير الناس بدلالة الكتاب والسنة، وأما الاحتمال فهو أن مساوئهم إما أن تكون عن اجتهاد منهم وإما أن تكون عن تعمد، وكوننا لا نعلم أنها وقعت عن تعمد قدمنا الاجتهاد لأنه هو الموافق لما نحن متيقنون به من أنهم خير الناس.

وَهُمْ – مَعَ ذَلِكَ – لاَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِن الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِه، بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِم الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ[١].

---

[١] لَمَّا ذكر المؤلف أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن ما صح من مساوئ الصحابة واقعة عن اجتهاد منهم ناسب أن يذكر موقفهم من اعتقاد العصمة للصحابة، أعني هل يعتقدون أن الصحابة لا يذنبون؟

(**وهم**) أي أهل السنة والجماعة.

(**مع ذلك**) أي مع كونهم يقولون: إن ما صح من مساوئ الصحابة واقعة منهم عن اجتهاد.

(**لا يعتقدون**) أي ليس في اعتقادهم.

(**أن كل واحد من الصحابة**) أي كل فرد منهم.

(**معصوم**) أي محمي.

(**من كبائر الإثم وصغائره**) أي من الوقوع في الإثم صغائر وكبائر.

(**بل يجوز**) أي يمكن، (**عليهم**) أي على الصحابة بأفرادهم.

(**الذنوب**) أي وقوع الذنوب منهم، (**في الجملة**) أي من حيث الإجمال.

مراد المؤلف: أنهم من حيث الإجمال هم في الذنوب كسائر البشر يذنبون، وأما من حيث التفصيل فالذنوب التي تقع منهم ليست كالذنوب التي تقع من غيرهم؛ فهم أهون من غيرهم من حيث عظم الذنب وصغره، ومن حيث كثرة الذنوب وقلتها، ومن حيث الاستمرار في الذنب والإقلاع عنه، ونحو ذلك.

الخلاصة: أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الفرد من الصحابة غير معصوم من الوقوع في الذنوب.

وَلَهُمْ مِن السَّوَابِقِ وَالفَضَائِلِ مَا يُوجبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إنْ صَدَرَ، على أَنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِن السَّيِّئَات مَا لاَ يُغفرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُمْ مِن الحَسَنَات الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَات مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَقَدْ ثَبتَ بِقَوْلِ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ القُرُونِ، وَأَنَّ المُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ، ثُمَّ إذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَات تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِه، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَو ابْتُلِيَ بِبَلاَءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ[1].

---

[1] لَمَّا ذكر المؤلف أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الفرد من الصحابة غير معصوم من الوقوع في الذنوب، ناسب أن يذكر موقفهم من الذنوب التي صدرت منهم، أعني هل يعتقدون أنها مغفورة أو لا؟

(**ولهم**) أي للصحابة خصوصاً.

(**من السوابق والفضائل**) السوابق: أي الأعمال الصالحة التي سابقوا إليها، والفضائل: أي الخصال الحميدة التي فُضِّلوا بها على غيرهم.

(**ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر**) مراد المؤلف أنه لو صدر من الصحابة ذنب مهما كانت عظمته فلهم سوابق وفضائل عظيمة توجب مغفرة ذلك.

(**على أنه**) أي زيادة على ما تقدم.

(**يغفر لهم**) أي خصوصاً لهم.

(**من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم**) مراد المؤلف: أنه لو كان غير الصحابة يستحقون أن تُغفر لَهم

سيآتهم الكثيرة بما عندهم من الحسنات الكثيرة فالصحابة أولى أن تغفر لهم سيآتهم مهما كانت كثرتها لأنهم أكثر حسنات من غيرهم.

(**وقد ثبت**) أي فيما يدل على عظم سوابقهم وفضائلهم وكثرة حسناتهم.

(**بقول النبي ﷺ "أنّهم خير القرون"**) هذا دليل على عظم سوابقهم وفضائلهم، ووجه الدلالة على ذلك أن الإخبار بأنّهم خير الناس يدل على أنهم أعظم الناس سوابق وفضائل.

(**"وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم"**) هذا دليل على كثرة حسناتِهم، ووجه الدلالة على ذلك أن الإخبار بأن الصدقة القليلة منهم أعظم أجراً من الصدقة الكثيرة ممن بعدهم يدل على أنهم أكثر حسنات ممن بعدهم.

(**ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب**) أي من أحد الصحابة.

(**فيكون قد تاب منه**) أي طلب التوبة منه.

(**أو أتى بِحسنات تمحوه**) أي لو افترض أنه لم يتب فإنه قد يأتي بعد هذا الذنب بحسنات تزيله.

(**أو غفر له بفضل سابقته**) أي لو افترض أنه لم يأت بعد الذنب بحسنات؛ كأن يكون عاجله الموت، فإنه يغفر له بسبب ما قدمه سابقاً قبل فعل الذنب من الأعمال الصالحة.

(**أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته**) أي لو افترض أنه لم يغفر له بفضل سابقته فإنه يغفر له بشفاعة محمد ﷺ يوم القيامة، لأن الصحابة أولى من

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ فِي الأُمُورِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَئوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ[١].

يشفع لهم النبي ﷺ لكونهم تحملوا معه أعباء الرسالة.

(**أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه**) أي وقد لا يحتاج أن يشفع له يوم القيامة - يعني بعدم دخوله النار - لأنه قد ابتلي في الدنيا ببلاء كُفِّر بهذا البلاء عن ذنبه.

الخلاصة: أن ذنوب الصحابة مغفورة، لأن أسباب المغفرة متوفرة لهم.

وأسباب المغفرة المتوفرة لهم نوعان:

النوع الأول: أسباب خاصة لا يشاركهم فيها غيرهم، وهما سببان:

الأول: ما لهم من السوابق والفضائل العظيمة.

الثاني: ما لهم من الحسنات الكثيرة.

النوع الثاني: أسباب عامة، وهي التي يشاركهم فيها غيرهم، وهي خمسة أسباب:

الأول: التوبة من الذنب.

الثاني: الحسنات بعد الذنب.

الثالث: الأعمال الصالحة قبل الذنب.

الرابع: شفاعة محمد ﷺ لهم يوم القيامة.

الخامس: الابتلاء في الدنيا.

[١] لَمَّا ذكر المؤلف أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن ذنوب الصحابة مغفورة ناسب أن يذكر موقفهم من المساوئ التي صدرت منهم عن اجتهاد.

أعني هل يعتقدون أن هذه المساوئ مغفورة لهم أيضاً أو لا؟

ثم إنَّ القَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ القَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِن الإِيْمَان بِالله وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِه، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ[١].

(**فإذا كان هذا**) أي الحكم بالمغفرة.

(**في الذنوب المحققة**) أي في الذنوب التي صدرت منهم مع معرفتهم لها أنها ذنوب.

(**فكيف في الأمور**) أي في المساوئ.

(**التي كانوا فيها مجتهدين**) أي التي صدرت منهم عن اجتهاد.

(**إن أصابوا فلهم أجران**) أي أجر على حسن النية وأجر على الإصابة في العمل.

(**وإن أخطئوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور**) أي لهم أجر واحد على حسن النية، والخطأ في العمل لا يؤجرون عليه لأنه خطأ، ولكن يغفر لهم فيه لأنه صدر منهم عن اجتهاد لا عن تعمد.

الخلاصة: أن المساوئ التي صدرت من الصحابة عن اجتهاد زيادة على أنها مغفورة لهم، هم فيها مأجورون إما أجرين وإما أجرا واحدا.

[١] لَمَّا ذكر المؤلف موقف أهل السنة والجماعة من الذنوب والمساوئ التي صدرت من الصحابة ناسب أن يذكر القدر الذي ينكر من فعل بعضهم من هذه الذنوب والمساوئ.

(**ثم القدر**) أي الكمية.

(**الذي ينكر من فعل بعضهم**) أي بعض الصحابة.

(**قليل نزر**) نزر: أي قليل جداً.

وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِن الفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهم خَيْرُ الخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ، لاَ كَانَ وَلاَ يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهم الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ[1].

(مغمور) أي مغطى ومخفي.

(في جنب فضائل القوم ومحاسنهم) أي ما لهم من الفضائل والمحاسن.

(من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح) هذا تفسير لما لهم من الفضائل والمحاسن.

الخلاصة: أن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل جداً، وهو في جنب فضائلهم ومحاسنهم لا يعد شيئاً.

[1] لَمَّا ذكر المؤلف القدر الذي ينكر من فعل بعض الصحابة ناسب أن يختم الكلام عنهم بذكر مَنْزِلَتِهم بالنظر في سيرهم وفضائلهم.

(ومن نظر) أي تأمل.

(في سيرة القوم) أي في أحوالهم وقصصهم.

(بعلم وبصيرة) أي بمعرفة صحيحة.

(وما من الله عليهم به) أي وما أختصهم به.

(من الفضائل) أي من الخصال التي فضلوا بها على غيرهم.

(علم يقيناً) أي عرف من غير شك.

(أنهم خير الخلق بعد الأنبياء) أي أنهم خير حتى على من قبلهم إلا الأنبياء.

(ما كان) أي فيمن قبلهم.

(**ولا يكون**) أي فيمن بعدهم.

(**مثلهم**) أي في الخيرية.

(**وأهم**) أي وعلم يقينا أهم.

(**الصفوة**) أي المختارة.

(**من قرون**) أي من أجيال.

(**هذه الأمة**) أي أمة محمد ﷺ.

(**التي هي خير الأمم وأكرمها على الله**) مراد المؤلف كما أن هذه الأمة خير الأمم وأكرمها على الله، فقرن الصحابة خير قرون هذه الأمة وأكرمها على الله.

الخلاصة: أن سيرهم وفضائلهم تدل على أهم خير الناس بعد الأنبياء.

[كَرَامَاتُ الأَوْلِيَاءِ]

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ:[١]

التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ، وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ؛ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ[٢].

---

[١] لَمَّا انتهى المؤلف من الكلام عن أصل من الأصول المتفرعة عن الأصول الستة، شرع في الكلام عن أصل آخر.

فإذا قيل: ما هو الأصل الذي سيتكلم عنه المؤلف هنا؟

فالجواب: سيتكلم عن باب كرامات الأولياء.

والأولياء هم أهل الإيمان والتقوى؛ كما قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

وعلامة الإيمان والتقوى التقيد بالكتاب والسنة في الفعل والترك.

وسيذكر المؤلف فيما يتعلق بهذا الباب مبحثين:

المبحث الأول: بيان موقف أهل السنة والجماعة من كرامات الأولياء.

المبحث الثاني: بيان زمن وجود هذه الكرامات.

[٢] هذا المبحث الأول وهو بيان موقف أهل السنة والجماعة من كرامات الأولياء.

(التصديق بكرامات الأولياء) أي بما يكرم الله به الأولياء.

(وما يُجري الله على أيديهم من خوارق العادات) هذه الجملة معطوفة على ما قبلها، والمراد بها تفسير الكرامات.

(وما يجري الله) أي ما يسيره.

كَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الكَهْفِ، وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ؛ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قرونِ الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ[1].

(**على أيديهم**) أي على أيدي الأولياء.

(**من خوارق العادات**) أي مما هو خلاف المعتاد.

الخلاصة: أن الكرامة تتضمن قيدين:

الأول: أن تكون أمراً خارقاً للعادة، فأما ما كان موافقاً للعادة فليس بكرامة.

الثاني: أن تَجري على يد الولي، وأما ما يَجري على يد من ليس بولي كالساحر والمشعوذ فليس بكرامة.

(**في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات**) المراد بهذه الجملة ذكر أقسام الكرامات.

(**في أنواع العلوم والمكاشفات**) هذا هو القسم الأول.

(**أنواع**) جمع نوع (**العلوم**) جمع علم (**المكاشفات**) جمع مكاشفة، وهي بمعنى العلم.

خلاصة هذا القسم: أن يعلم الولي شيئاً لا يستطيع أن يعلمه الإنسان عادة.

(**وأنواع القدرة والتأثيرات**) هذا هو القسم الثاني.

(**أنواع**) جمع نوع (**التأثيرات**) جمع تأثير، وهو بمعنى القدرة.

خلاصة هذا القسم: أن يقدر الولي على شيء لا يقدر عليه الإنسان عادة.

[1] هذا المبحث الثاني وهو بيان زمن وجود الكرامات.

(**كالمأثور**) أي المنقول.

(**عن سالف الأمم**) أي عن الأمم السابقة.

(**في سورة الكهف**) أي من الكرامات المذكورة فيها؛ كما في قصة أصحاب الكهف وقصة صاحب موسى.

ووجه الكرامة في قصة أصحاب الكهف أن الله تعالى أبقاهم نياماً مدة طويلة جداً ولم يحصل لهم أي آفة.

وهذه الكرامة تدخل في قسم القدرة.

ووجه الكرامة في قصة صاحب موسى أن الله عز وجل أطلعه على حال الملك مع السفن، ومستقبل الصبي، وقصة الكَنْزِ الذي تحت الجدار.

وهذه الكرامة تدخل في قسم العلم.

(**وغيرها**) أي غير سورة الكهف من السور التي ذكرت فيها كرامات الأولياء.

(**وعن صدر هذه الأمة**) أي والمنقول عن أول هذه الأمة.

(**من الصحابة والتابعين**) هذا تفسير للمراد بصدر هذه الأمة.

(**وسائر قرون الأمة**) أي وباقي أجيال الأمة.

(**وهي موجودة**) أي الكرامات.

(**فيها**) أي في هذه الأمة.

(**إلى يوم القيامة**) أي سيستمر وجودها إلى أن تقوم القيامة.

الخلاصة: أن كرامات الأولياء كانت موجودة في الأمم السابقة، ووجدت في أول هذه الأمة وبعده، وستبقى موجودة إلى يوم القيامة.

[طَرِيقَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فِي مَعْرِفَةِ الدِّينِ]

فَصْلٌ: ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:[1]

---

[1] لَمَّا انتهى المؤلف من الكلام عن القسم الأول من الكتاب؛ الذي هو قول أهل السنة والجماعة في المسائل التي تتعلق بالأخبار ناسب أن يختم الكلام عن هذا القسم بذكر طريقتهم في معرفة الدين أخباراً وأحكاماً.

(ثم من طريقة أهل السنة والجماعة)

(من) بمعنى بعض، أي بعض طريقة أهل السنة والجماعة.

مراده أن طريقة أهل السنة والجماعة تتضمن أموراً، وهو إنما سيتكلم عن بعض هذه الأمور لا كلها.

فإذا قيل: ما هي الأمور التي تتضمنها طريقتهم؟

فالجواب: طريقتهم تتضمن أمرين:

الأول: طريقتهم في الدين، أي ما هو دينهم؟

الثاني: طريقتهم في معرفة الدين، أي كيف يعرفون دينهم؟

أما ما هو دينهم؟ فدينهم أخبار وأحكام، فالأخبار تكلم عنها قبل هذه الخاتِمة، والأحكام سيتكلم عنها بعد الخاتمة.

وأما ما هي طريقتهم في معرفة الدين فهي التي سيتكلم عنها في هذه الخاتمة.

وسيذكر فيما يتعلق بها مبحثين:

المبحث الأول: طريقتهم في معرفة الدين بالنسبة للمصادر.

المبحث الثاني: طريقتهم في معرفة الدين بالنسبة لفهم المصادر.

اتباع آثار رسول الله ﷺ باطنا وظاهرا[١].

واتباع سبيل السابقين الأولين؛ من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"[٢].

---

[١] هذا المبحث الأول وهو طريقتهم في معرفة الدين بالنسبة للمصادر.

(**اتباع**) أي سلوك.

(**آثار النبي ﷺ**) أي ما أثر عنه يعني ما نقل عنه من القرآن والسنة.

(**باطنا**) أي فيما يتعلق بأعمال القلوب.

(**وظاهرا**) أي فيما يتعلق بأعمال الجوارح.

الخلاصة: أن طريقتهم في معرفة الدين بالنسبة للمصادر هو الرجوع إلى الكتاب والسنة.

[٢] هذا المبحث الثاني وهو طريقتهم في معرفة الدين بالنسبة لفهم المصادر.

(**واتباع سبيل**) أي سلوك طريق.

(**السابقين**) أي إلى الإسلام.

(**الأولين**) أي قبل غيرهم.

(**من المهاجرين والأنصار**) هذا تفسير للمراد بالسابقين الأولين.

(**واتباع وصية رسول الله ﷺ**) أي ما أوصى به أمته.

(**حيث قال: "عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين ...إلخ"**) مراد المؤلف أن

ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ[١].

ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد[٢].

النبي ﷺ أوصى مع التمسك بسنته التمسك بسنة الخلفاء الراشدين.

الخلاصة: أن طريقتهم في معرفة الدين بالنسبة لفهم المصادر هو الرجوع إلى الصحابة عموما والخلفاء الراشدين خصوصا.

[١] لما ذكر المؤلف طريقة أهل السنة والجماعة في معرفة الدين بالنسبة للمصادر، وبالنسبة لفهم المصادر، ناسب أن يذكر علمهم بمنزلة المصادر اللذين هما الكتاب والسنة.

(**ويعلمون**) أي يعرفون.

(**أن أصدق الكلام كلام الله**) أي القرآن.

(**وخير الهدي**) أي خير الطرق.

(**هدي محمد ﷺ**) أي طريق محمد ﷺ.

[٢] لما ذكر المؤلف علم أهل السنة والجماعة بمنزلة الكتاب والسنة ناسب أن يذكر ثمرة هذا العلم.

(**ويؤثرون**) أي يقدمون.

(**كلام الله**) أي القرآن.

(**على غيره من كلام أصناف الناس**) أي إذا تعارض معه.

(**ويقدمون هدي محمد ﷺ**) أي طريقه.

وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ[١].

وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الاجْتِمَاعُ وَضِدُّهَا الفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ[٢].

(على هدي كل أحد) أي على طريق أي أحد، وذلك إذا تعارض معه أيضاً.

مراد المؤلف: أنه لكون أهل السنة والجماعة يعلمون أن أصدق الكلام كلام الله وأن خير الهدي هدي محمد ﷺ أَثْمَرَ هذا العلم عندهم إيثار كلام الله على كلام غيره وتقديم هدي محمد ﷺ على هدي أي أحد.

[١] لَمَّا ذكر ثمرة علم أهل السنة والجماعة بِمَنْزِلَة الكتاب والسنة ناسب أن يذكر سبب تسميتهم بأهل الكتاب والسنة.

(ولهذا) أي لكونهم يؤثرون كلام الله تعالى ويقدمون هدي محمد ﷺ.

(سموا أهل الكتاب والسنة) أي سموا أهل الكتاب لكونهم يؤثرون كلام الله على كلام غيره، وسموا أهل السنة لكونهم يقدمون هدي محمد ﷺ على هدي أي أحد.

[٢] لَمَّا ذكر سبب تسميتهم بأهل الكتاب والسنة ناسب أن يذكر سبب تسميتهم بأهل الجماعة.

(وسموا أهل الجماعة) أي زيادة على تسميتهم بأهل الكتاب والسنة.

(لأن) أي السبب.

(الجماعة) أي لفظ الجماعة.

(هي الاجتماع) أي معناها: الاجتماع.

مراد المؤلف: أنهم سموا أهل الجماعة لاجتماعهم على منهج واحد الذي هو الكتاب

وَالإِجْمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ[١].

والسنة وعدم تفرقهم إلى مناهج محدثة.

(وإن كان لفظ الجماعة) أي في استعمال الناس.

(قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين) أي في مكان واحد.

مراد المؤلف: أن لفظ الجماعة معناه في الأصل: الاجتماع على منهج واحد ولو كان أصحاب هذا المنهج متفرقين في أماكن شتى، ثم صار في استعمال الناس معناه: الاجتماع في مكان واحد ولو افترقت مناهجهم.

[١] لَمَّا ذكر علم أهل السنة والجماعة بِمَنْزِلَة الكتاب والسنة وما تفرع عن ذلك، ناسب أن يذكر علمهم بِمَنْزِلَة الإجماع.

(والإجماع) أي اتفاق العلماء.

(هو الأصل الثالث) أي مع الكتاب والسنة.

(الذي يعتمد عليه) أي يرجع إليه ويحتج به.

(في العلم) أي في المعرفة.

(والدين) أي والعمل.

تنبيه: تتفق هذه الأصول الثلاثة من حيث الحجية، فكلها حجة لا يجوز مخالفة أصل منها، وتختلف من حيث إن الأصلين الأول والثاني أعني الكتاب والسنة هما مصادر الدين، والأصل الثالث أعني الإجماع تابع لهما لأنه لا إجماع إلا على ما دل عليه الكتاب والسنة.

وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الأُصُولِ الثَّلاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بالدِّينِ[١].

وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ، إذ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلافُ وَانْتَشَرَتِ الأُمَّةُ[٢].

---

[١] لَمَّا ذكر الأصول الثلاثة التي يعتمد عليها في العلم والدين ناسب أن يذكر كيفية معرفتهم لِما عليه الناس من صواب وخطأ.

(وهم) أي أهل السنة والجماعة.

(يَزِنون) أي يعرفون.

(بهذه الأصول الثلاثة) أي بالكتاب والسنة والإجماع.

(جميع ما عليه الناس) أي من حيث الصواب والخطأ.

(من أقوال وأعمال ظاهرة أو باطنة) هذا تفسير للمراد بجميع ما عليه الناس.

(مما له تعلق بالدين) هذا قيد.

أي الأقوال والأعمال التي تعرض على هذه الأصول إنما هي المتعلقة بالدين، وأما الأمور الدنيوية فالأصل فيها الإباحة كاختراع الآلات الصناعية بأنواعها.

الخلاصة: أنهم يعرفون ما عليه الناس من صواب وخطأ بعرض أقوالهم وأعمالهم على نفس هذه الأصول الثلاثة.

[٢] لَمَّا ذكر من قبل علم أهل السنة والجماعة بِمَنْزِلَة الإجماع، ناسب أن يختم الكلام هنا بذكر الإجماع الذي ينضبط.

(والإجماع الذي ينضبط) أي الذي يجزم بوقوعه ووصوله إلينا.

(**هو ما كان عليه السلف الصالح**) أي هو الإجماع الذي كان عليه السلف الصالح، والمراد به إجماع الصحابة رضي الله عنهم.

(**إذ بعدهم**) أي بعد السلف الصالح.

(**كثر الاختلاف وانتشرت الأمة**) مراد المؤلف: أن الإجماع بعد السلف الصالح لا ينضبط لهذين السببين:

الأول: كثرة الاختلاف، يعني بين العلماء.

الثاني: انتشار الأمة، يعني تباعد أفرادها في أقطار الأرض.

[اعتقاد أهل السنة والجماعة في المسائل التي تتعلق بالأحكام]

فَصْلٌ: ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الأُصُولِ:

يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ[١].

وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ، وَالجِهَادِ، وَالجُمَعِ، وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا[٢].

---

[١] لَمَّا انتهى المؤلف من الكلام عن القسم الأول من الكتاب مع خاتمته شرع في الكلام عن القسم الثاني الذي هو اعتقاد أهل السنة والجماعة في المسائل التي تتعلق بالأحكام.

(ثم هم) أي أهل السنة والجماعة.

(مع هذه الأصول) أي المسائل التي تتعلق بالأخبار.

(يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)

الأمر معناه: طلب الفعل.

والمعروف ضابطه: ما أمر الله به في القرآن أو السنة.

والنهي معناه: طلب الترك.

والمنكر ضابطه: ما نهى الله عنه في القرآن أو السنة.

(على) أي بحسب، **(ما توجبه الشريعة)** أي الطريقة الموافقة لما توجبه الشريعة.

الخلاصة: أنهم يأمرون بما أمر الله به وينهون عما نهى الله عنه، وأن طريقتهم في الأمر والنهي موافقة لما توجبه الشريعة.

[٢] لَمَّا ذكر أن طريقة أهل السنة والجماعة في الأمر والنهي موافقة لما توجبه الشريعة

وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ[1].

وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا" وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَقَوْلِهِ ﷺ: "مَثَلُ

ناسب أن يذكر رأيهم في إقامة الشعائر مع الأمراء؛ لأن مِن الناس مَن لا يرى إقامة الشعائر مع الأمراء الفجار ويجعل ذلك طريقة للنهي عن المنكر.

(ويرون) أي أهل السنة والجماعة.

(إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء) أي وجوب إقامة الشعائر مع الأمراء.

(أبرارا كانوا أو فجاراً) أي سواء كان الأمراء أصحاب طاعة أو أصحاب معصية.

مراد المؤلف: أن أهل السنة والجماعة يَعُدُّون فجور الأمراء منكراً، لكن لا يرون ترك إقامة الشعائر معهم طريقة صحيحة للنهي عما هم فيه من المنكر، لأن هذه الطريقة غير موافقة لما توجبه الشريعة.

[1] لَمَّا ذكر رأي أهل السنة والجماعة في إقامة الشعائر مع الأمراء، ناسب أن يذكر موقفهم من أداء الصلاة مع الجماعة؛ لأن بعض الناس لا يرى أداء الصلاة خلف الإمام الفاجر، ويفوت الجماعة لهذا السبب.

(ويحافظون) أي يواظبون.

(على الجماعات) أي على أداء الصلاة مع الجماعة.

مراد المؤلف: أن أهل السنة والجماعة كما أنهم لا يرون تفويت الشعائر لكون الأمراء فجاراً، كذلك لا يرون تفويت الجماعة لكون الإمام فاجراً.

المؤمِنِينَ فِي تَوادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِم وتَعَاطُفِهِم كَمَثَلِ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالحُمّى والسَّهَرِ"[1].

---

[1] لَمَّا ذكر من قبل أن أهل السنة والجماعة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ناسب أن يذكر مَنْزِلَة النصيحة عندهم؛ لأن النصيحة هي بمعنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا أنها أعم.

فالنصيحة هي: إرادة الخير للمنصوح وإرشاده إلى ما فيه مصلحته الدينية والدنيوية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو: إرادة الخير للمأمور والمنهي وإرشاده إلى ما فيه مصلحته الدينية.

(ويدينون بالنصيحة) أي يرونها من الدين يتقربون بها إلى الله تعالى.

(للأمة) أي لجميع أفراد الأمة.

(ويعتقدون معنى قوله ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً" وشبك بين أصابعه، وقوله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر")

أي يؤمنون بالمعنى الذي دل عليه هذان الحديثان.

أما الحديث الأول فدل على وجوب الترابط بين المؤمنين.

وأما الحديث الثاني - وهو كالتفسير للحديث الأول - فدل على وجوب التواد والتراحم والتعاطف بين المؤمنين وما ينتج عن ذلك كالتألم لآلامهم.

يشير المؤلف بذكره لهذين الحديثين إلى أن الإيمان بالترابط بين المؤمنين من الدوافع إلى بذل النصح للأمة.

وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ البَلاَءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، والرِّضَى بِمُرِّ القَضَاءِ[١].

وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا"[٢].

---

[١] لَمَّا ذكر المؤلف مَنْزِلَة النصيحة لكونها أعم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ناسب أن يفصِّل بعد ذلك في نفس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وسيذكر فيما يتعلق بذلك مبحثين:

المبحث الأول: التفصيل في المعروف الذي يأمر به أهل السنة والجماعة.

المبحث الثاني: التفصيل في المنكر الذي ينهى عنه أهل السنة والجماعة.

وابتدأ - المبحث الأول - بذكر بعض الخصال المتعلقة بالمعاملة مع الله.

(**ويأمرون بالصبر عند البلاء**) هذه هي الخصلة الأولى.

الصبر معناه: التحمل، والبلاء معناه: المصيبة.

أي يأمرون بالتحمل عند المصيبة.

(**والشكر عند الرخاء**) هذه هي الخصلة الثانية.

الشكر معناه: المقابلة بالإحسان، والرخاء معناه: النعمة.

أي يأمرون بمقابلة النعمة بالإحسان.

(**والرضا بمر القضاء**) هذه هي الخصلة الثالثة.

الرضا: ضد الغضب، ومر القضاء معناه: ما قدره الله من الأذى كالمرض والفقر، أي يأمرون بعدم الغضب فيما قدره الله من الأذى.

[٢] لَمَّا ذكر بعض الخصال التي يأمر بها أهل السنة والجماعة والمتعلقة بالمعاملة مع

وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ[١].

الله، ناسب أن يذكر بعد ذلك بعض الخصال التي يدعون إليها والمتعلقة بالمعاملة مع عباد الله.

(**ويدعون إلى مكارم الأخلاق**) هذه هي الخصلة الأولى.

مكارم: جمع مكرُمة بضم الراء، وهي: الشيء الطيب.

والأخلاق: جمع خُلُق بضم الخاء واللام، وهو الطبيعة، أي الشيء الراسخ في النفس.

يعني يدعون إلى الطبائع الطيبة.

(**ومحاسن الأعمال**) هذه هي الخصلة الثانية.

الأعمال: جمع عمل، والمراد به هنا المعاملة.

أي يدعون إلى المعاملة الحسنة مع الآخرين.

فائدة : الغالب يُعبَّر عن كلتا الخصلتين بجملة مختصرة وهي "حسن الخلق" والمراد بها: المعاملة الحسنة الناتجة عن الأخلاق الكريمة.

(**ويعتقدون معنى قوله ﷺ: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً"**) أي يؤمنون بالمعنى الذي دل عليه هذا الحديث.

فهذا الحديث دل على أن من علامات كمال الإيمان حسن الخلق.

ويشير المؤلف بذكره لِهذا الحديث إلى أن الإيمان بما دل عليه هذا الحديث من الدوافع إلى حسن الخلق.

[١] لَمَّا ذكر أن أهل السنة والجماعة يدعون إلى حسن الخلق ناسب أن يذكر بعض الخصال التي يندبون إليها، والدالة على كمال حسن الخلق.

(**ويندبون**) أي يحثون ويرغبون.

وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى اليَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفقِ بِالْمَمْلُوكِ[١].

(**إلى أن تصل من قطعك**) هذه هي الخصلة الأولى.

(**تصل**) أي تواصل.

(**من قطعك**) أي الذي قطعك فلم يواصلك.

والمواصلة تكون بالسؤال والزيارة والمساعدة ونحو ذلك.

(**وتعطي من حرمك**) هذه هي الخصلة الثانية.

(**تعطي**) أي تبذل.

(**من حرمك**) أي الذي حرمك فلم يعطك.

والعطاء يشمل بذل المال والنصح والتعليم وغير ذلك.

(**وتعفو عمن ظلمك**) هذه هي الخصلة الثالثة.

(**تعفو**) أي تسامح.

(**عمن ظلمك**) أي عن الذي ظلمك، سواء اعتدى عليك أو منعك ما يجب لك عليه.

[١] لَمَّا ذكر أن أهل السنة والجماعة يندبون إلى كمال حسن الخلق ناسب أن يذكر بعض الخصال التي يأمرون بها، والدالة على أصل حسن الخلق.

(**ويأمرون ببر الوالدين**) هذه هي الخصلة الأولى.

البر: بكسر الباء معناه التوسع في فعل الخير.

والوالدان هما: الأب والأم.

أي يأمرون بالتوسع في فعل الخير للأب والأم.

(وصلة الأرحام) هذه هي الخصلة الثانية.

الصلة معناها: المواصلة.

والأرحام: جمع رحم، ومعناه: القرابة.

أي يأمرون بمواصلة الأقارب.

(وحسن الجوار) هذه هي الخصلة الثالثة.

الحسن: معناه الجمال.

والجوار: معناه القرب، والجار: هو الساكن بالقرب.

أي يأمرون بمعاملة الجار معاملة جميلة.

(والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل) هذه هي الخصلة الرابعة.

وهي الإحسان إلى هؤلاء الأصناف من الناس.

والإحسان: معناه المعاملة بالتي هي أحسن.

واليتامى: جمع يتيم، وهو الذي مات أبوه قبل بلوغه.

والمساكين: جمع مسكين، وهو المحتاج.

وابن السبيل: هو المسافر.

(والرفق بالمملوك) هذه هي الخصلة الخامسة.

الرفق: بكسر الراء وسكون الفاء معناه اللين.

أي يأمرون باللين في معاملة الإنسان المملوك.

وَيَنْهَونَ عنْ الفَخْرِ وَالخُيَلاءِ، وَالْبَغْيِ وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الخَلْق بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ[1].

---

[1] هذا المبحث الثاني وهو التفصيل في المنكر الذي ينهى عنه أهل السنة والجماعة.

وذكر المؤلف في هذا التفصيل بعض الخصال المتعلقة بالمعاملة مع عباد الله.

(**وينهون عن الفخر**) هذه هي الخصلة الأولى.

والفخر: معناه الافتخار، وهو أن يقول قولاً يعظم به نفسه ويقصد به احتقار غيره، كأن يقول: أنا لي من المال مقدار كذا، وأنا نسبي كذا، ونحو ذلك.

(**والخيلاء**) هذه هي الخصلة الثانية.

والخيلاء: بضم الخاء معناه الاختيال، وهو أن يفعل فعلاً يعظم به نفسه ويقصد به احتقار غيره، كأن يمشي رافعاً رأسه أو متبختراً في مشيته، ونحو ذلك.

والفرق بين الفخر والخيلاء أن الأول يكون بالقول والثاني يكون بالفعل.

(**والبغي**) هذه هي الخصلة الثالثة.

والبغي: هو الاعتداء، إما بالقول كالسب، أو بالفعل كالضرب.

(**والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق**) هذه هي الخصلة الرابعة.

وهي شاملة للخصال الثلاث المتقدمة.

(**بحق أو بغير حق**) أي هذا التطاول قد يكون بحق وقد يكون بغير حق.

أما التطاول بحق فالمراد به: أنه من حيث الواقع هو أفضل منهم بالمال أو النسب أو غير ذلك، لكن هذا ليس مبرراً له أن يحتقر غيره.

فإذا صدر منه هذا التطاول بالقول فيسمى فخراً.

وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاَقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا[١].

وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ[٢].

وإذا صدر منه بالفعل فيسمى خيلاء.

وأما التطاول بغير حق فالمراد به: الاعتداء بالقول أو الفعل ويسمى البغي.

[١] لَمَّا فصَّل المؤلف في المعروف الذي يأمر به أهل السنة والجماعة وفي المنكر الذي ينهون عنه، ناسب أن يذكر بعد ذلك خلاصة ما يأمرون به وما ينهون عنه مِمَّا يتعلق بالأخلاق.

(**ويأمرون بمعالي الأخلاق**) أي الأخلاق العالية.

(**وينهون عن سفسافها**) أي عن الأخلاق الرديئة.

[٢] لَمَّا ذكر خلاصة ما يأمر به أهل السنة والجماعة وما ينهون عنه ناسب أن يذكر مصادرهم في تلقي هذه الأوامر والنواهي.

(**وكل ما يقولونه ويفعلونه**) أي تطبيقهم في كل أقوالهم وأفعالهم.

(**من هذا**) أي الذي تقدم ذكره من الأوامر والنواهي.

(**وغيره**) أي مما لم يذكر.

(**فإنما هم فيه**) أي في كل أقوالهم وأفعالهم.

(**متبعون**) أي مطبقون.

(**للكتاب والسنة**) أي للأوامر والنواهي المتلقاة من الكتاب والسنة.

الخلاصة: أن مصادرهم في تلقي الأوامر والنواهي هما الكتاب والسنة.

[فضلُ أهلِ السُّنةِ والجَمَاعَةِ على بَقِيةِ الفِرَقِ]

وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلامِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ.

لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّها فِي النَّارِ إِلاَّ وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ، وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: "هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي"؛ صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلاَمِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلُ السُّنةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وَفِيهِم الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ أَعْلاَمُ الْهُدَى وَمَصَابِيحُ الدُّجَى أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ وَالفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِيهِم الأَبْدَالُ، وَفِيهِمْ الأَئِمَةُ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ ودِرَايَتِهِمْ.

وَهُم الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّذِين قَالَ فِيهِم النَّبِيُّ ﷺ: "لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لاَ يَضُرُّهُم مَنْ خَذَلَهُمْ وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ"[١].

---

[١] لَمَّا انتهى المؤلف من بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة في المسائل التي تتعلق بالأخبار والأحكام ناسب أن يختم الكلام بذكر فضلهم على بقية الفرق.

(وطريقتهم) أي في الأخبار والأحكام.

(هي دين الإسلام) أي هي نفسها دين الإسلام.

(الذي بعث الله به محمداً ﷺ) أي هذا الدين هو نفسه الذي بعث الله به محمداً ﷺ.

(لكن) هذا حرف استدراك للتفريق بينهم وبين بقية الفرق التي تدعي أن طريقتها هي دين الإسلام.

(**لَمَّا أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وفى حديث عنه أنه قال: "هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي" صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة**) خلاصة مراد المؤلف: أنه لَمَّا أخبر النبي ﷺ بوجود الافتراق في الأمة وبصفة الفرقة الناجية، صار أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية، وذلك لأنهم هم المتصفون بالصفة التي أخبر بها النبي ﷺ عن الفرقة الناجية.

(**وفيهم**) أي في أهل السنة والجماعة.

(**الصديقون والشهداء والصالحون**)

الصديقون: جمع صديق، وهو الذي بلغ الغاية في التصديق.

والشهداء: جمع شهيد، وهو الذي قتل في سبيل الله.

والصالحون: جمع صالح، وهو الذي لازم الأعمال الصالحة.

تنبيه: الصديقون والشهداء كذلك ملازمون للأعمال الصالحة، لكن تَميزوا عن عموم الصالحين بصفات خاصة.

(**ومنهم**) أي من أهل السنة والجماعة.

(**أعلام الهدى**) الأعلام: جمع علم، وهو الجبل، وأعلام الهدى: هي الجبال التي يهتدى بها فيعرف بها الطريق، والمراد بها هنا العلماء الذين يهتدى بعلمهم.

(**ومصابيح الدجى**) المصابيح: جمع مصباح، وهو الذي يستضاء به، والدجى: جمع دجية، وهي الظلمة، والمراد بمصابيح الدجى هنا العلماء الذين يستضاء بعلمهم.

(**أولوا**) أي أصحاب.

(**المناقب**) جمع منقبة، وهي الخصلة التي يمدح بها الإنسان.

(**المأثورة**) أي المنقولة.

(**والفضائل**) جمع فضيلة، وهي الخصلة التي يفضل بها الإنسان على غيره.

(**المذكورة**) أي التي تذكرها الألسنة باستمرار.

(**وفيهم**) أي في أهل السنة والجماعة.

(**الأبدال**) الأبدال: جمع بدل، والمراد بهم أهل العلم والعمل، وسموا أبدالاً لأنه إذا مات بعضهم يسر الله بدلاً عنهم فلا تنتفي الأرض من وجودهم.

(**وفيهم**) أي في أهل السنة والجماعة.

(**الأئمة**) جمع إمام، وهو الذي يقتدى به.

(**الذين أجمع المسلمون**) أي كلهم.

(**على هدايتهم**) أي على أنهم في أنفسهم مهتدون، وغيرهم يهتدي بهم.

(**ودرايتهم**) أي قوة فهمهم وفقههم في الدين.

والمراد بهم: العلماء العاملون الذين اشتهروا في الناس اشتهاراً عظيماً، ومنهم الأئمة الأربعة: أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد.

(**وهم**) أي أهل السنة والجماعة.

(**الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة"**) أي هم الفرقة المنتصرة على من خالفها في الدنيا، الذين قال فيهم النبي ﷺ هذا الحديث.

نسأل الله أن يجعلنا منهم، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب، والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا[١].

---

[١] ختم المؤلف كتابه هذا بثلاثة أمور:

الأول: الدعاء.

الثاني: تفويض كمال العلم لله تعالى.

الثالث: الصلاة والسلام على النبي وآله وصحبه.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المحتويات

[مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلِّفِ] ٩
[اعتقاد أهل السنة والجماعة في المسائل التي تتعلق بالأخبار] ١٠
[الإِيْمَانُ بالله] ١٢
[الإِيْمَانُ بالْقَدَرِ] ٧٨
[الدِّيْنُ والإِيْمَانُ ووعِيدُ الله] ٨٩
[أَصْحَابُ النَّبي ﷺ] ٩٦
[كَرَامَاتُ الأَوْلِيَاء] ١١٨
[طَرِيقَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِيْ مَعْرِفَةِ الدِّيْنِ] ١٢١
[اعتقاد أهل السنة والجماعة في المسائل التي تتعلق بالأحكام] ١٢٨
[فَضْلُ أَهْلِ السُّنةِ والْجَمَاعَةِ على بَقِيةِ الفِرَقِ] ١٣٧